في الدراسات القرآنية واللغوية

رسم المصحف العثماني

وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم

دوافعها ، ودفعها

الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي
أستاذ الدراسات القرآنية واللغوية
بكلية اللغة العربية والدراسات العليا
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

نشر وتوزيع
دار المنارة
جدة - السعودية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في الدراسات القرآنية واللغوية

رسم المصحف العثماني

وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم

دوافعها، ودفعها

الدكتور عبد الفتّاح إسماعيل شلبي
أُستاذ الدراسات القرآنية واللغويّة
بكلية اللغة العربيّة والدراسات العُليا
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

نشر وتوزيع
دار المنارة
جدة - السعودية

تَقْدِيم

الموضوع - أهدافه - منهج البحث فيه - مصادره:

هـذا بحث يعـالـج رسم المصحف، ومكـانتـه في الاحتجاج للقراءات، وقد دفعني إلى معالجة هذا الموضوع رأيٌ قرأته للعالم المستشرق: إجنتس جولدتسيهر في كتابه «مذاهب التفسير الإسلامي» مفاده أن الخط العربي الذي كتبت به المصاحف لخلوه من النقط والشكل - كان سبباً في اختـلاف القراءات، وقـد أدى إلى اختلافـات نحويـة ومعنوية أيضاً. . .

قرأت ما قال جولدتسيهر وتدبرتـه فإذا بي أراه يهـدم النقل عن الأئمة القراء، وينكر صلة هذه القراءات بالسند عن الرسول عليه الصلاة والسلام، ومعنى ذلك: أنّ ما كان من هذه القراءات متصلاً بخصوصية الخط العربي - وهـو كثير - ليس مما نزل به جبريل على قلب الرسول، وليس من الأحرف السبعة التي نص الرسول في صحيح ما روي

عنه: «أن كلها شاف كاف»!!. ومعنى ذلك أيضاً إنكار هذا القرآن في الجملة والتفصيل، ثم إنكار ما دار حول نصه الكريم من ثقافات متعددة الألوان، وفي ذلك من الخطورة ما فيه.

ولست أريد أن أزيِّف على القارىء الكريم، فأنكر أمامه أنّي دفعت أول الأمر بعاطفتي الدينية إلى دحض ما قرره «جولدتسيهر»، لا! بل أذكر صراحة أن كلام «جولدتسيهر» اهاج عندي هذه العاطفة، وحملني حملاً على التفكير في الموضوع. ثم كان أن خليت ما بيني وبين هذه العاطفة من صلات ووشائج، وتناولت الموضوع بروح الباحث العلمي، البعيد عن التعصب الديني ومزالقه، ومكن لي من ذلك أن رسالتيّ الجامعيتين اللتين قدمتهما لنيل درجة الماجستير والدكتوراه، كانتا متصلتين اتصالاً وثيقاً بهذه الدراسات القرآنية[1]. وكنت أعد كلاًّ منهما، ورأيُ «جولدتسيهر» ماثل أمام عيني، وفي خاطري لعلي أجد من الدلائل ما يثبته أو ينفيه...

(١) موضوع رسالة الماجستير: الإمالة في القراءات واللهجات العربية.

وموضوع رسالة الدكتوراه: أبو علي الفارسي، حياته ومكانته بين أئمة العربية، وآثاره في القراءات والنحو.

وبهذا الاتجاه العلمي الخالص مضيت أجمع البراهين، وأقيّد الأدلة، وأتناول الموضوع. . . فانتهيت إلى ما سيعرض على القارىء في هذا البحث بعد حين. . . وتبارك الله الذي نزل الكتاب بالحق وهو خير المنزلين. . .

* * *

قدمت هذا البحث بكلمة موجزة شرحت فيها المقصود برسم المصحف، وتطور هذا الرسم منذ أبي بكر رضي الله عنه إلى أن كتب عثمان عليه الرضوان مصحفه الإمام، ثم رددت شبهة القائلين بأن القراءات تابعة للرسم، وبينت أن القراءة سنّة متبعة، ثم ذكرت موقف القدامى - نحويين وقرّاء - من رسم المصحف والاحتجاج به، وبيّنت الرأي الذي أرتضيه، ثم تعرضت للاختيار عند القرّاء، ومتى يكون صحيحاً غير مردود، وهو موضوع يمت بصلة وثيقة إلى القول بأن القراءة سنّة. . .

تلكم كانت أهداف الموضوع، وذلكم منهج البحث فيه، وقد استفتيت فيه ما وصلت إليه يدي من كتب النحو والقراءات، فاستعنت فيه بسيبويه والكسائي، والفراء، وأبي حاتم السجستاني، وأبي بكر بن مجاهد، وابن جرير الطبري، والزجاج، والزجاجي، والرماني، وأبي علي الفارسي، وابن جني، والربعي، ومكي بن أبي طالب

القيسي، والـداني، وأبي العبـاس الـقسـطلانـي، وابن الجزري، والبنا الدمياطي، وغير هؤلاء وهؤلاء من النحويين والقراء.

وبعد. فهذه لبنة في صرح الدراسات القرآنية الشامخ المكين، وجهد متواضع بذلته وفاء لحق القرآن وما له من فضل علينا عظيم... ورغبة في أن يقر في صدر القارىء ما وقر في صدري ـ بعد البحث والتأييد ـ أن القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[1].

٢١ من شعبان ١٣٧٩ هـ	عبدالفتاح شلبي
١٨ من فبراير (شباط) ١٩٦٠ م	حدائق القبة

---

(١) من فضل الله عليّ، وتحدثا بنعمته ـ أن يكون هذا الكتاب أول ما ألف في موضوعه، وقد كتب الشيخ عبدالفتاح القاضي (رحمه الله) كتابه: «القراءات في نظر المستشرقين والملحدين» ـ القاهرة ١٩٧٢ ـ كتبه بعد كتابي هذا بإثني عشر عاماً. والحمد لله على توفيقه.

- ١ -

رَسْم المصحف

ما المراد بالرسم؟ وماذا يعنون بالمصحف؟

الرسم: أصله الأثر، والمراد أثر الكتابة في اللفظ، وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بها، والوقوف عليها.

والمراد بالمصحف: المصاحف العثمانية التي أجمع عليها الصحابة[1].

وقد جمع أبو بكر القرآن مشتملاً على سبعة الأحرف التي أذن الله عز وجل للأمة في التلاوة بها، ولم يخص حرفاً بعينه[2]، ثم كان لكثير من أئمة الصحابة مصاحف:

(١) انظر ص ٢١١، لطائف الإشارات في علم القراءات، لشهاب الدين أبي العباس القسطلاني.

(٢) المقنع: ١٢٩.

عمر بن الخطاب[1]، وعلي بن أبي طالب، وأُبيّ بن كعب[2]، وعبدالله بن مسعود[3]، وابن عباس[4]. كما كان لزوجات النبي ﷺ مثل ذلك: عائشة، وحفصة، وأم سلمة[5]. كذلك كان للتابعين من أمثال عطاء بن رباح، وعكرمة، ومجاهد[6]؛ وفي هذه المصاحف ما صح سنده، وثبتت تلاوته، ووافق العربية، ولكن اختلف بعضها عن بعض حتى كان المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يتلقون فيختلفون، ويختلف القرّاء من أهل العراق والشام[7]، هذا الاختلاف الذي أغضب حذيفة بن اليمان[8] حتى احمرت عيناه.

ويفزع حذيفة إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويشرح الله صدر عثمان إلى هذا العمل الجليل، فيجمع

---

(١) انظر المصاحف للسجستاني: ٥٠.
(٢) المصدر السابق: ٥٣.
(٣) المصدر السابق: ٥٤.
(٤) المصدر السابق: ٧٣.
(٥) المصاحف: ٨٣ ـ ٨٨.
(٦) انظر المصاحف: من ٨٨ ـ ٩١.
(٧) المقنع: ١٢٩.
(٨) انظر الخبر بتمامه ص ١٢، المصاحف للسجستاني.

الأمة على حرف واحد، ورسم واحد[1] - ما عدا اختلافات أحصاها المشتغلون بالدراسات القرآنية[2] - خال من النقط والشكل وبعث بالمصاحف إلى الأمصار، وأمر أهل كل مصر أن يقيموا مصاحفهم على المصحف المبعوث إليهم[3]، فأصبحت قراءة كل قطر تابعة لرسم مصحفهم[4]، ومنع عثمان رضي الله عنه القراءة بما خالف خطها، وساعده على ذلك زهاء اثني عشر من الصحابة والتابعين، واتبعه على ذلك جماعة من المسلمين بعده، وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ، وإن صحت ورويت[5].

هذا الرسم الذي أجمعت عليه الأمة، وتلقته بالقبول بترتيب آياته، بل كلماته، بل حروفه، ليس لنا إلى إنكاره من سبيل، وأصبح مصحف عثمان الإمام والدليل فيما يعنيه

---

(١) النشر: ١/١١.
(٢) انظر المقنع: من ٨٨ - ١٣١.
(٣) فضائل القرآن لابن كثير: ٣٩.
(٤) غيث النفع للصفاقسي: ١١٤.
(٥) الإبانة لمكي بن أبي طالب: ١.

من ترتيب يمنع التقديم والتأخير، ومن **حصر** يمنع الزيادة والنقصان، وإبدال لفظ بلفظ آخر[1]، وهو حجة على القارئين والمقرئين إلى يوم الدين، وأصبحت القراءة بما يخالف الرسم وإن وافق العربية وصح سنده - كالذي جاء في مصاحف الصحابة والتابعين - شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف الإمام المجمع عليه، فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها[2].

أورد القرطبي في تفسيره: قرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ﴿وطلع منضود﴾ بالعين وتلا هذه الآية: «ونخل طلعها هضيم»، وهو خلاف المصحف.

وفي رواية أنه قريء بين يديه ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ فقال: وما شأن الطلح؟ إنما هو ﴿وطلع منضود﴾، ثم قال: «لها طلع نضيد» فقيل له: أفلا نحوّلها؟[3]. فقال: لا ينبغي أن يهاج القرآن ولا يحوّل[4].

---

(١) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن: ٨٦.

(٢) منجد المقرئين: ١٦ وما بعدها.

(٣) وفي رواية: قيل له: يا أمير المؤمنين! أنَحُكها من المصحف؟ فقال: لا يهاج القرآن اليوم. قال أبو بكر (الأنباري): ومعنى هذا أنه رجع إلى ما في الصحف، وعلم أنه هو الصواب، وأبطل الذي كان من قوله.

(٤) تفسير القرطبي جـ: ١٧/٢٠٨.

فقد اختار هذه القراءة، ولم ير إثباتها في المصحف لمخالفة ما رسْمُه مجمع عليه.

شاذّ إذن بعد المصحف الإمام أن نقرأ الآيات الآتية كما كانت تقرأ من قبل هذا الإمام، وكانت حِلاً فيما سبقه من أيام، بل كانت مما دونت في مصاحف كبار الصحابة عليهم الرضوان مثل:

أ ــ زيادة كلمة[1]: لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلاً من ربكم[2] في مواسم الحج[3].

ب ــ نقص كلمة: ومن الشياطين من يغوص له ويعمل وكنا لهم حافظين[4].

جـ ــ إبدال كلمة بأخرى: إن الله لا يظلم مثقال نملة[5].

---

(١) انظر المواهب الفتحية: ٨٦، والانتصار للباقلاني.
(٢) المصاحف للسجستاني: ٨٢.
(٣) مصحف عبدالله بن الزبير ٨٢، وابن عباس ٧٤.
(٤) المصدر السابق: مصحف عبدالله بن مسعود ص ٩٥.
(٥) المصدر السابق: مصحف عبدالله بن مسعود ص ٥٤.

د ـ تقديم وتأخير:

إذا جاء فتح الله والنصر[١]. وجاءت سكرة الحق بالموت[٢].

هـ ـ تأويل أثبت مع التنزيل: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطي وصلاة العصر[٣]

و ـ منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه[٤].

وهكذا كان عمل سيدنا عثمان من قبيل صون القرآن عن التحريف والتبديل والاختلاف، وأخلص من هذا إلى بيان أنهم كانوا وهم يكتبون المصحف الإمام يتحرون الدقة والتثبت؛ حتى إنهم كانوا يتوقفون عن الكتابة حتى يثقوا من صحة ما يكتبون، وأنه عن رسول الله وارد، ومنه منقول: كانوا إذا تماروا في الآية يقولون: إنه قد أقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فلان ابن فلان، وهو على رأس أميال من المدينة، وفي رواية: على رأس ثلاث ليال. فيبعث إليه من المدينة فيجيء فيقولون: كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا

(١) المصدر السابق: مصحف ابن عباس ص ٨١.
(٢) الإبانة لمكي: ص ٧.
(٣) النشر: ١/١٤.
(٤) مقدمة المصاحف Jeffry P. (181).

وكذا؟ فيقول: كذا وكذا. فيكتبون[1] كما قال، ومن هنا جعلت موافقة القراءة رسم المصحف ركناً من أركان القراءة الصحيحة[2]، وهم لا يريدون بذلك إلاّ الرسم العثماني الذي يتفق هو والمروي الثابت من صحيح القراءات، دون ما عداه من قراءات كانت في المصاحف الأخرى، وانتزعها عثمان رضي الله عنه[3].

وهكذا ألف القرآن ـ كما قال مالك عليه الرضوان ـ على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ[4] وإجماع القرّاء عليه[5] أمماً عن أمم[6].

---

(١) المقنع: ٨.
(٢) النشر: ١/٩.
(٣) انظر المصاحف للسجستاني: ٣٤.
(٤) وانظر تاريخ القرآن للزنجاني: من ص ٤٠ ـ ٤٦.
(٥) المقنع: ٩.
(٦) منجد المقرئين: ٦٠.

- ٢ -

جولد تسيهر والقراءات

وأخلص بعد هذا العرض السريع إلى مناقشة «جولد تسيهـر» حيث يقرر في كتـابه «المـذاهب الإسـلاميـة» أن القراءات ترجع في معظمها إلى أن الخط العربي كان غفلاً من النقط والحركات، وأرجو أن أدفع مـا رمى به عقيـدة المسلمين في كتابهم المحفوظ إلى يوم الدين؛ ذلـك أنه قال ما ترجمته: «والقسم الأكبر من هذه القـراءات يرجـع السبب في ظهـوره إلى خاصيـة الخط العـربي؛ فـإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة؛ تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية، وفقدان الشكل في الخط العربي، يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعـراب، فهـذه التكميـلات للرسم الكتـابي، ثم هـذه الاختلافات في الحركات والشكل، كل ذلك كان السبب

الأول (؟؟) لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن»[1].

* * *

فها نحن أولاءِ نراه يرجع اختلاف القراءات إلى سببين رئيسين:

أ ـ تجرد المصحف من النقط.

ب ـ عدم وجود الحركات النحوية، وفقدان الشكل في الخط العربي.

ثم ضرب أمثلة لألفاظ وقع فيها الاختلاف بين القرّاء، وكان ذلك الاختلاف نتيجة تجرد المصحف من النقط مثل: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾[2]، بالباءِ الموحدة، وفي قراءة تستكثرون بالثاء المثلثة[3]. وفي هذه السورة:[4]

---

(١) المذاهب الإسلامية: ص ٤.

(٢) سورة الأعراف: آية ٤٨.

(٣) لم ترد هذه في القراءات الأربع عشرة، انظر إتحاف فضلاء البشر: ص ٢٢٥.

(٤) آية ٧٥.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ﴾[1] بالباء، وفي قراءة: «نشرا»[2]. وفي سورة التوبة[3]: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾[4] بالياء المثناة التحتية، وفي قراءة غريبة لحماد الراوية: «أباه»[5] بالباءِ الموحدة ثم قال: «في آية (٩٤) من سورة النساء تظهر على الأخص - هذه الظاهرة في كل الحروف تقريباً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ وفي قراءة: «فتثبتوا» ورسم هذه الكلمة «فتبينوا» محتمل[6] للقراءتين».

ثم ضرب أمثلة للقراءات المسببة عن فقدان الشكل

---

(١) هي قراءة عاصم، انظر النشر ٢ ص ٢٦٩، وقرأ ابن عامر: نُشْراً، وقرأ حمزة والكسائي: نَشْراً.

(٢) وقرأ الباقون: نُشُراً.

(٣) انظر النشر: ٢/٢٦٩.

(٤) آية ١١٤.

(٥) لم ترد في القراءات الأربع عشرة، انظر إتحاف فضلاء البشر للدمياطي: ٢٤٥.

(٦) المذاهب الإسلامية: ص ٥.

في الخط العربي، وعدم وجود الحركات النحوية بما جاء في سورة الحجر: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾[1] فاختلفت القراءات في (ننزل)، وتبع ذلك الاختلاف في كيفية نزول الملائكة، فبعض يقرؤها: «نُنَزِّلُ الملائكة»[2]. وذلك على معنى أننا ننزلها، أو أنها هي التي تنزل[3]. وبما جاء في سورة الرعد: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[4]، وفي قراءة أخرى: «ومِنْ عِنـدِه عِلمُ الكتابِ»[5] وهناك قراءة ثالثة[6]: «ومِنْ عندِه عُلِمَ الكتابُ»[7].

وقول جولدتسيهر هو الضلال بن السبهلل[8]!!، هل

---

(١) آية ٨.

(٢) انظر: اتحاف فضلاء البشر ص ٢٧٤. ففيها القراءات: تُنَزَّلُ - تُنَزِّلُ - نُنْزِلُ - تَنَزَّلُ.

(٣) المذاهب الإسلامية: ٧.

(٤) آية ٤٣ هذه قراءة الجمهور انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٢٧٠.

(٥) قراءة الحسن، انظر الإتحاف ص ٢٧٠، ولم ترد هذه القراءة في النشر انظر: ص ٢٩٨.

(٦) قال البنا الدمياطي: هذه القراءة ليست من طرق كتابه إتحاف فضلاء البشر انظر ص ٢٧٠.

(٧) المذاهب الإسلامية: ٧.

(٨) الضلال بن السبهلل: الباطل.

الأمر في القراءات لا ضابط له من أثر أو رواية؟ وإذا كان الدكتور «آثر جفري»[1]، قد نقل هذا الرأي في مقدمته لكتاب المصاحف للسجستاني (٣١٦ هـ)، وضرب مثلاً لذلك: «بعلمه» قال: «كان يقرأها الواحد «يُعَلِّمُهُ»، والآخر «نُعَلِّمُهُ» أو «تُعْلِمُهُ» أو «بِعِلْمِهِ» إلخ على حسب تأويله للآية»... أقول: إذا كان الدكتور «آثر جفري» قد قال بهذا الذي قاله «جولد تسيهر» من قبل ونقل عنه، وكان له عذره في ذلك بثقافته الإسلامية الضيقة، وتعصبه الذي به يلحد في آيات الله، فما عذر الدكتور «علي عبدالواحد وافي» في متابعة هؤلاء، وقوله بما يقولون؟، وذلك ما أورد في كتابه فقه اللغة: «يرجع بعض مظاهر الاختلاف في قراءات القرآن إلى اختلافهم في قراءة الكلمة حسب رسمها في المصحف العثماني، فقد كان الرسم مجرداً من الإعجام والشكل، ولذلك كان يمكن قراءة بعض الكلمات على وجوه مختلفة»[2]!!!.

وللرد على المستشرقين، ومن تابعهم من المحدثين أسوق الأدلة الآتية:ـ

---

(١) مقدمة كتاب المصاحف ص ٧٠.

(٢) فقه اللغة حاشية ص ١١٩ الطبعة الأولى.

- ٣ -

أدلّة من التّاريخ والنّقل

فأولاً: إن رجع الاختلاف إلى خاصية الخط العربي، وإغفاله من النقط والشكل خطأ في الرأي، وباطل في التوجيه:

ألم تُرْوَ الروايات وتُتداول قبل تدوين المصاحف؟.

ثم ألم تَرَهم كيف كانوا يتحرون ويتثبتون؟.

أو لم يكن القرآن محفوظاً في الصدور قبل جمع القرآن؟.

بلى! فلم يكن اختلاف القراءات بين قرّاء الأمصار راجعاً إلى رسم المصحف؛ فهو يرجع إلى أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، **وكانت المصاحف خالية من النقط** والشكل، فاحتملت ما صح نقله، وثبتت تلاوته عن

النبي ﷺ، إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط، فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً عن الصحابة بشرط موافقة الخط، وتركوا ما يخالف الخط امتثالاً لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة، لما رأوا في ذلك من الاحتياط في القرآن.

وثانياً: يظهر أن هؤلاء أجروا القرآن الكريم مجرى ما وقع فيه التصحيف من كلام العرب شعراً أو نثراً: فقد صحّف الفيض بن عبدالحميد في حلقة يونس، إذ أنشد بيت ذي الإصبع:

عــذيـر الحي من عــدوا ن كــانــوا حـيّــة الأرض

فقال الفيض: كانوا جنّة الأرض، بالجيم والنون(١)...

وحدّث قاسم بن أصبغ قال: «لما رحلت إلى المشرق نزلت القيروان فأخذت عن بكر بن حماد، فقرأت عليه يوماً حديث النبي ﷺ أنه قدم عليه قوم من مضر مجتابى النمار فقال: «إنما هو مجتابى الثمار» فقلت: «إنما هو مجتابى النمار هكذا قرأته على كل من لقيته بالأندلس والعراق»:

فقال لي: «بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا أو نحو هذا...». ثم قال لي: «قم بنا إلى ذلك ـ لشيخ كان

(١) التصحيف للعسكري: ص ١٣ وما بعدها.

في المسجد ـ فإن له بمثل هذا علماً». فقمنا إليه، وسألناه عن ذلك فقال:

«إنما هو مجتابى النمار، وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم أمامهم، والنمار جمع نمرة»[1].

وإذا كان العلماء قد وقفوا بالمرصاد لهذه التصحيفات الخاطئة فقبحوها مستبشعين[2]، وذموا المصحّفين، ونهوا عن الأخذ عنهم، وذكروا ما ورد من نوادر التصحيف مما وهم فيه الخليل[3]، وأبو عمرو[4]، وعيسى بن عمر[5].

وأبو عبيدة[6]، والأخفش[7] وغيرهم.

أقول: إذا كان العلماء قد وقفوا بالمرصاد لما روى هؤلاء ـ وهم أئمة، فماذا ترى أن يكون موقفهم[8] بجانب

---

(١) نفح الطيب: ١/٣٤٥ وما بعدها.
(٢) التصحيف للعسكري: ص ٨.
(٣) التصحيف: ٣٦.
(٤) التصحيف: ٤٣.
(٥) التصحيف: ٤٧.
(٦) التصحيف: ٤٩.
(٧) التصحيف: ٥٢.
(٨) وانظر: في تعقب العلماء للتصّحيف والمصحِّفين. الفاضل والمفضول للمبرد ٨٢، وطبقات الزبيدي: ١٠٢، ونزهة الألباء: ٣٦، والمزهر: ٢/٢٣٢.

كتاب الله الكريم والمصحِّفين فيه؟ وهم المدققون في روايته، وكانوا القوامين عليه ومن حفظته، ثم هم الذين وقفوا جهودهم على سدانته؟.

ومن عجب! يمدح خلف الأحمر بأنه **لا يأخذ إسناده عن الصحف**، فيقول فيه الحسن بن هانيء:

لا يَهِمُ الحاءَ في القراءةِ بالخَا
ءِ ولا يأخذُ إسنادَه عن الصُّحُفِ[1]

وأنه كان جماع العلم؛ لأنه ثَبْتٌ في الرواية إذ قيل في رثائه:

أودى جماع العلم مذ أوى خلف
راويــة لا يجتني من الصحف

ويرمي قرّاء القرآن الكريم بعد ذلك بأنهم يأخذون إسنادهم عما احتمله الرسم في المصحف الإمام؟!.

وإذا كان بعض ما أورده «جولدتسيهر» من اختلاف القراءات باختلاف النقط صحيحاً ـ كما في قراءة «مسسوا» فإن صحتها؛ لأنها رويت كذلك قبل أن ترسم.

وما كان حمزة والكسائي وخلف في قراءتهم «فتثبتوا» ـ من التثبت ـ من المصحِّفين.

---

(١) التصحيف: ١٣.

وما كان القرّاء الباقون في قراءتهم من التبيين ـ ضالين، وإنما كانوا جميعاً ـ هؤلاء وهؤلاء ـ من الرواة الضابطين.

ومن هذا الباب ما صوَّبه العلماء من الروايات المتحملة للأوجه المختلفة في النقط مما ورد في الشعر والنثر ـ ولكتاب الله المثل الأعلى ـ، ولكني أردت تقريب الأمر على هؤلاء المستشرقين، ومن لف لفهم من المحدثين، بذكر مثال من كلٍّ:

أ ــ حكى الأصمعي قال: أنشدنا أبو عمرو:

فما جبنوا أنّا نشد عليهمُ ولكن رأوا ناراً تُحَشُّ وتُسْفَعُ

قال: فذكرت ذلك لشعبة، فقال: «ويلك! إنما هي تحس وتسفع»! أي تحرق وتسوِّد.

قال الأصمعي: قد أصاب أبو عمرو: «لأن معنى تحش: توقد» وقد أصاب شعبة أيضاً[1]!.

فإذا كانت الروايتان صحيحتين: «تحش وتحس» فلِمَ لا تصح الروايتان «فتثبتوا» و«فتبينوا»؟ على أنهم كذلك مرويتان، لا على أنهما بذلك: «مسيوا» مرسومتان؟.

(١) نزهة الألباء: ٢١.

ب ـ ومن ذلك ما قال أبو القاسم الزجاجي: «أصل الخداج النقصان في الخلق كان أو في العِدّة...

ومنه قول النبي ﷺ: «كل صلاة لا قراءة فيها فهي خداج». أي «ذات خداج».

ومنه قول علي رضي الله عنه في ذي الثدية أنه مخدج اليد، والعلماء يقولون: «الثدي مذكر، وإنما قيل: ذو الثدية بالهاء؛ لأنه ذهب به إلى معنى اللحمة والزيادة»، وبعضهم يقول: «ذو اليُدَيّة بالياء يجعلها تصغير اليد»[1] وهكذا يصح التأويل في «السدنه» على أية صورة نطقت بها مختلفاً نقطها، فلماذا لا يصح ما روى في قراءة «مسسوا» كذلك؟!.

ثالثاً: لو كانت القراءة تابعة للرسم كما يقول: «جولدتسيهر» لصحت كل قراءة يحتملها رسم المصحف، ولكن الأمر على غير ذلك، فإن بعض ما يحتمل الرسم صحيح مثل «مسسوا»[2]، وبعضه مردود مثل قراءة حماد الراوية: أباه في سورة التوبة[3]، وقراءة: وما كنتم

---

(١) ورقة ١٩ أخبار أبي القاسم الزجاجي.
(٢) سورة النساء: آية ٩٤.
(٣) آية ١١٤، وانظر الإتحاف للدمياطي: ص ٢٤٥.

تستكثرون في سورة الأعراف[1]، مع أن هذه القراءة قد استشهد بها «جولدتسيهر» على ما ذهب إليه؟.

فالأصل أن الرسم تابع للرواية والنقل، وأن القراءة منقولة من أفواه الرجال الحفظة[2]، لا كما يقلب هؤلاء الوضع، فإذا احتمل الرسم قراءة غير مروية ولا ثابتة. ولا مسندة إسناداً صحيحاً ردَّت، وكذّبت، وكفر متعمدها[5]، وما وافق الرسم من القراءات الصحيحة تعبد به، وكان تنزيلاً من حكيم حميد.

لقد يحتمل الرسم من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ - ما نسبت إلى حمزة الزيات من أعدائه «ذلك الكتاب لا زيت فيه»![4].

كما يحتمل الرسم في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ «ولله ميزاب السموات والأرض»[5] هذا فيما يختص بالنقط.

---

(١) آية ٤٨، ولم ترد هذه القراءة في السبع، ولا العشر، ولا الأربع عشرة، انظر الإتحاف: ص ٢٢٥.

(٢) التصحيف للعسكري: ص ٩.

(٣) منجد المقرئين: ١٧.

(٤) انظر التصحيف للعسكري: ٩.

(٥) تكملة الفهرست: ص ٥.

كما يحتمل من حيث تجرد خط المصحف من الشكل قراءة المعتزلة: «وكلم اللَّهَ موسى تكليما».

والرافضة: «وما كنت متخذ المضلَّينِ عضدا» بفتح اللام يعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[1].

ولكن شيئاً من ذلك لم ينقل في صحيح الرواية، ولم يرد فيما ثبت عن الرسول، فهو إذن من تحريف أهل البدع والأهواء، فأصبحت القراءة به بهتاناً وكفراً، ومنكراً من القول وزوراً.

على أنه يتبين من الآيات التي أوردها «جولدتسيهر» أنه اعتمد على قراءات لم ترد في قراءات الأربعة من بعد العشر.

ثم أود أن أسأل سؤالاً: لماذا استتيب ابن شنبوذ عن قراءة له بحضور ابن مجاهد، وجماعة من العلماء والقضاة؟[2].

ثم لماذا أحضر السلطان ابن مقسم (٣٥٤هـ) واستتابه

---

(١) منجد المقرئين: ٢٣.
(٢) طبقات القرّاء: ٢/٥٤.

بحضرة الفقهاء والقرّاء فأذعن بالتوبة، وكتب محضر توبته[1]!.

السبب في ذلك أن ابن مقسم ذُكِرَ عنه أنه كان يقول:

«إن كل قراءة وافقت المصحف، ووجهاً في العربية فالقراءة بها جائزة **وإن لم يكن لها سند**»[2].

أمّا ابن شنبوذ فإنه كان يغير حروفاً من القرآن، ويقرأ بخلاف ما أنزل[3]، كان يعتمد على السند، وإن خالف المصحف، واتفقا على موافقة العربية[4].

موقفان متغايران! هذا يعذب؛ لأنه خالف رسم المصحف.

وذاك يعذب؛ لأنه اختار القراءة بكل ما يحتمله الرسم.

والأمر لا يبدو عجباً؛ بل هو دليل على أن القراءة سنّة مُتَّبَعَة، وأنها كذلك رويت مسندة إلى الصحابة تلقياً عن رسول الله ﷺ، **وأجمعوا عليها كذلك**.

(١) طبقات القرّاء: ٢/١٢٤.
(٢) طبقات القرّاء: ٢/١٢٤.
(٣) وفيات الأعيان: ٣/٣٢٦.
(٤) طبقات القراء: ٢/٥٤.

فابن مقسم جعل القراءة تابعة للرسم، وأخلاها من السند فردت قراءته.

أما ابن شنبوذ فإنه كان يقرأ: «فامضوا إلى ذكر الله»[1].

«وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»[2].

«كل سفينة صالحة غصباً»[3].

«كالصوف المنقوش»[4].

«فاليوم ننجيك بندائك»[5]

«تبت يدا أبي لهب وقد تب»[6].

«فلما خر تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين»[7].

«فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاماً»[8].

---

(١) س ٦٢، آ ٩.

(٢) س ٥٦، آ ٨٢.

(٣) س ١٨، آ ٨٢.

(٤) س ١٠١، آ ٥.

(٥) س ١٠، آ ٩٢.

(٦) س ١١١، آ ١.

(٧) س ٣٤، آ ١٤.

(٨) س ٢٥، آ ٧٧.

«وينهون عن المنكر، ويستغيثون الله على ما أصابهم وأولئك هم المفلحون»[1].

«وفساد عريض»[2].

«غير المغضوب عليهم وغير الضالين»[3].

وهذه القراءات قد تكون صحيحة يقرأ بها، وبعد أن جمع أبو بكر القرآن، ولكنها أصبحت بعد المصحف الإمام محرّمة أن يقرأ بها القرآن؛ لأنها تخالفه بالزيادة والنقصان، والإبدال والتقديم، والتقديم والتأخير، إلخ . . . مما يعد من قبيل المخالفة المردودة.

قال مكي: ما خالف خط المصحف هو من السبعة إذا صحت روايته، ووجهه في العربية، ولم يضاد معنى خط المصحف، لكن لا يقرأ به؛ إذ لا يأتي إلاّ بخبر الآحاد، ولا يثبت قرآن بخبر الآحاد، وإذ هو مخالف للمصحف المجتمع عليه فهذا الذي نقول به ونعتقده[4].

ويدحض قول: «جولدتسيهر».

---

(١) س ٣، آ ١٠٤.
(٢) س ٨، آ ٧٣. وفيات الأعيان: ٣٢٧/٣٠.
(٣) الإبانة لمكي ص ٥.
(٤) المصدر السابق.

- ٤ -

قراءات يحتملها الرسم صحيحة في اللغة ولكن لم يقرأ بها

ثم أترك هذه المناقشة إلى أدلة أخرى تلقم المعاندين الحجر، وتقيم الحجّة بأن القراءة سنّة متبعة، جرت على الرواية والأثر، وأغلب هذه الأدلة قراءات يحتملها الرسم، كما أنها صحيحة في اللغة، نطق بها العرب، وجرت على ألسنتهم في نثرهم، ولكنها مع ذلك لم يقرأ بها؛ لأنها لم ترد، ولم يكن لها سند صحيح يعتد به من نقل أو رواية.

فأولاً: أننا نجد حرفاً يتكرر في القرآن الكريم برسم واحد لا يختلف في السور التي ورد فيها، ومع ذلك نجد القرّاء يختلفون في قراءته في بعض المواضع، ويتفقون فيها على البعض الآخر فلو كان رسم المصحف سبباً من أسباب الاختلاف ما كان اتفاقهم على ﴿ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾(١)

(١) س ٣، آ ٢٦.

و﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾[1] من المِلْك لا من المُلْك على حين يختلفون في «مالك»[2] يوم الدين؛ فتُقرأ مالك بإثبات الألف وإسقاطها[3]، مع أن رسم الكلمات: مالك يوم الدين، ومالك الملك[4]، وملك الناس في المصحف واحد غير مختلف.

وقد تكرر ذلك في القرآن الكريم وقراءات القراء في كثرة ظاهرة:

فهم يختلفون في إفراد الريح وجمعه في مواضع أشارت إليها كتب القراءات[5]، كما أشارت إلى أن حمزة يفرد الريح في كل المواضع إلّا التي في الفرقان، والكسائي إلا في الحجر، ونافعاً يجمع الجميع، والعربيين: (أبا عمرو وابن عامر) إلا في إبراهيم والشورى، وابن كثير في البقرة، والحجر، والكهف، والشريعة[6] مع أن الرسم واحد في الجميع، ولم يقع الخلف[7] إلا في الحجر.

---

(١) س ١١٤، آ ٢.
(٢) س ١، آ ٤.
(٣) انظر: القراءات لابن مجاهد.
(٤) انظر المقنع: ص ٨٨.
(٥) انظر النشر: ٢/٢٢٣.
(٦) البحر المحيط: ١/٤٦٧.
(٧) المقنع: ص ١ ـ ١٥.

كما اختلفوا في يبشـرك ونبشرك فقـرئت: يبشرك من البشر وهو البشرى والبشارة، كما قرئت من الإبشار، ومن التبشير في سبحان، والكهف، والتوبة، ومريم، والشورى، واتفقوا على تشديد «فبم تبشرون» في الحجر[1].

* * *

ثم انـظر اختـلافهم في السُّـوء في التـوبـة، والفتـح واتفاقهم على الفتح في مواضع.

* * *

واختلفـوا في نسقيكم (سـورة النحـل) وفي المؤمنين بالنون وفتحها، وضمها، واتفقوا على ضم حرف الفرقان: ﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾.

وفي اللغة خطِف يخـطَف، وخطَف يخـطِف، ولكن «القراء لم يقرءوا إلاّ يخطَف، وخطِف مثل علم. قال أبو علي الفارسي: ولا نعلم أحداً قرأ الأخرى»[2].

فهل كانوا يتفقون ويختلفون متبعين في ذلك الرسم؟ إن كان ذلك فالرسم واحد، واتحاد الرسم يدعو - في رأي «جولدتسيهـر» - إلى اختلافهم في جميـع الوارد من هـذا

(١) انظر النشر: ١/٢٣٩ وما بعدها.

(٢) الحجّة لأبي علي الفارسي: ١/٣٦٥.

الحرف يقرءون بكل ما يحتمله الرسم ما دام المعنى صحيحاً دون أن يتفقوا في بعض منه، أما وقد اتفقوا على بعض منه مجمعين فليس من تفسير لذلك إلا أنهم كانوا للرواية والأثر متبعين.

وثانياً: وهناك ما هو أشد اتصالاً بالأثر، وأقوى احتجاجاً بأن القراءة سنّة: **ذلك ما تجوِّز اللغة والصناعة النحوية نطقه بأوجه مختلفة، ومع هذا لم يقرأ القراء إلا بوجه واحد من هذه الوجوه.**

جاء في البحر المحيط: قال ابن عطية: «أجمع القراء على ضم الميم من مكث في قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾[1] مع أن اللغة تجوز في الميم من مكث: الضم والفتح والكسر»[2]. ولم يقرأ واحد من القراء الأربعة عشر إلا مُكث بضم الميم[3].

* * *

ويروي الزجاج ما تجوزه اللغة في قوله تعالى:

---

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٦.

(٢) البحر المحيط: ٦/٨٨.

(٣) انظر إتحاف فضلاء البشر: ٢٨٧.

﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾، واعبدا الطاغوت، وما قـرىء به من هـذه اللغات الجائزة؛ اتباعاً للرواية[1].

* * *

ويجوز في الرضاعة فتح الراء وكسـرها ولم يقـرأ إلا بالفتح[2].

* * *

وأهل اللغة يحكون: بزعمهم مثلثة الزاي ولم يقرأ إلا بالفتح.

فلو كان الأمر كما يقـول «جولدتسيهر» من أن إغفال الحركات في الخط العربي كان سبباً في الأوجه المختلفة للقراءات لرأينا القراء يقرءون أمثال هذه الكلمات بما تجوز اللغة فيها من مختلف الحركات!!.

بـل إن الكسائي نفسـه هـو الـذي روى الـكسـر في «الرِّضاعة»[3] لغةً، ولكنها لم ترد عنه قراءةً!!!.

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج عند كلامه على قوله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾.
(٢) معاني القرآن للفراء: ١٤٩.
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٤٩.

بـل إن اللغة تجـوِّز في محيص «مجيضـاً»[1]، وخلو الرسم من النقط يحتمل النطق بالكلمة «بوجهيها» إذ كانت مـرسومـة: «محـيصـاً»، ولكن «مجيضـاً» وإن كانت اللغـة تجوزها، والرسم يحتملها لم تجز في القرآن، وإن كـان المعنى واحداً، والخط غير مخـالف! لأن القرآن سنّـة لا تخالف فيه الرواية عن النبي ﷺ وأصحابه والسلف وقـراء الأمصار بما يجـوز في النحو واللغـة وما فيـه **فأفصح** مما يجوز، فالاتباع فيه أولى»[2].

هذه أمثلة **فيما هو خاص باللغة**.

أما فيما يختص بالصناعة النحوية فالأمـر فيه أوضـح وأشهر، ولعله قد أتاك نبأ يحيى بن يعمر وتلحينه الحجاج، وكيف استبشع الحجاج أن يلحنه ابن يعمر في كتاب الله في **وقت كـان اللحن فيه هجنـة للشريف. إنـه لحنه في قـراءتـه أحب** بالرفع من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ... أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾[3] مع أن الصناعة

---

(١) انـظر لسان العـرب مادة جيض، وأسـاس البلاغـة والقامـوس المحيط.

(٢) معاني القرآن للزجاج.

(٣) سورة التوبة: آية ٢٤.

النحوية تجيز الرفع[1]، ولكن أحداً من القراء الأربعة عشر لم يقرأ به[2].

أرأيت كيف جرت القراءة على السّنة والرواية؟ وكيف لم يستطع الحجاج على سطوته وقدرته أن يحيد عنها، أو يحاجّ ابن يعمَر بما تجيزه الصناعة النحوية، أو يعتذر من لحنه فيها بما تجيزه العربية؟ مع وجود المخلص له من هذا اللحن المستهجن القبيح؟! فكيف يقال بعد ذلك إن القراءات كان السبب الأكبر فيها خلو الرسم من الشكل والنقط؟!! وتُغمض الأبصار، ويختم على البصائر؟.

فإن قلت: إن زمن الحجاج ويحيى بن يعمر لم تستحصد فيه الصناعة النحوية، والتأويل الإعرابي، حتى يستطيع أن يحاجَّ بما أوردت، فالجواب أن تقرأ ما يقول المازني وقد جاء الأصمعي يوماً وهو في مجلسه فقال الأصمعي: «ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾؟ قال المازني: سيبويه يذهب إلى أن الرفع فيه أقوى من النصب في العربية لاشتغال الفعل بالمضمر،

(١) انظر البحر المحيط: ٥/٢٢.
(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر: ٢٤١.

وأنه ليس ها هنا شيء هو بالفعل أولى، **ولكن أبت عامة القرّاء إلاّ النصب، فنحن نقرؤها لذلك اتباعاً؛ لأن القراءة سنّة»**[1].

على أن خبر الحجاج ويحيى بن يعمر لا يزال قائم الحجة على الذين ينكرون أن القراءة سنّة!.

ثم انظر ـ في خبر المازني والأصمعي ـ كيف يخضع الأئمة الأولون لما هو وارد في الأثر، ولو كان مرجوحاً من حيث الصنعة، اتباعاً للرواية، واقتداءً بالسنّة!

وثالثاً: بل إن بعض هؤلاء الأئمة كان له اختيار في القراءة على مذاهب العربية[2]، وعلى قياسها ولكنه جانب الأثر في اختياره، **فلم توثق قراءته من أجل ذلك: من هؤلاء عيسى بن عمر البصري الثقفي صاحب الإكمال والجامع** ـ كان الغالب عليه حب النصب إذا وجد لذلك سبيلاً منه[3]، قرأ: «والسارقَ والسارقةَ فاقطعوا أيديهما»[4] وقرأ. «الزانيةَ والزاني»[5]، ولم يقرأ أحد من

---

(١) أخيار الزجاجي، ورقة ٣٦.
(٢) طبقات القراء: ١/٦١٣.
(٣) طبقات القراء: ١/٦١٣.
(٤) س ٥: آ ٣٨.
(٥) س ٢٤، آ ٢.

القراء العشر[1]، بل القرّاء الأربعة بعدهم - بشيءٍ من ذلك[2].

فإن قلت: لقد ضربت مثلاً بإمام بصري، فهلّا كان ذلك من كوفي؟.

فالجواب ما قال الفراء في معاني القرآن - في مواضع كثيرة منه - ولو قرأ قارىء بكذا كان صواباً. . . وعلى سبيل المثال ما قال: ولو قرأ قارىء «إنما صنعوا كيد ساحر» نصباً كان صواباً إذا جعلت أن وما حرفاً واحداً[3]، ولم يقرأ به واحد من سبعة ابن مجاهد، ولا الثلاثة الذين بعدهم[4]، ولا الأربعة الذين بعد هؤلاء[5].

وهنا يجمل أن أورد قول «جولد تسيهر»: «من أهم ما تجده من هذا القبيل: يشير إلى اختلاف القراءات فيما أهمل شكله من القرآن: تلك القراءات المختلفة في حروف هذه الكلمة (أن)، وهل هي أَنَّ أو إِنَّ بالتشديد فيهما؟ أو هي فقط أن بدون التشديد؟ وفي سورة آل

(١) انظر النشر: ٢/٢٥٤، ٣٣٠.
(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر: ١٩٩، ٢٢٢.
(٣) معاني القرآن: ١٠١.
(٤) انظر النشر: ٢/٣٢١.
(٥) انظر الإتحاف: ٣٠٥.

عمران[1] نجد مثالاً لذلك يتبين فيه كيف يحاول الفن النحوي أن يجد سبيلاً لهذا أو ذاك»[2].

وقد رجعت إلى هذه الآيات في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[3]، ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[4]، ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[5]، رجعت إلى هذه الآيات، ثم تعرفت على القراءات الأربع عشرة فما وجدت خلافاً بينهم في قراءة إن الأولى بالكسر في (إننا) والثانية بالفتح في (أنه)[6]، وينفرد الكسائي بفتح همزة أنَّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[7]

---

(1) آيات ١٦ - ١٨.
(2) المذاهب الإسلامية: هامش ٧.
(3) آية ١٦.
(4) آية ١٦.
(5) آية ١٨.
(6) انظر الإتحاف: ص ١٧٢.
(7) انظر النشر: ٢/٢٣٨.

فلم لا يكون انفراده هذا في ذلك الحرف متبعاً فيه الرواية؟!.

والدليل على ذلك ـ مثلاً ـ في قول الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾ قال الفراء: «قرأه القرّاء بالكسر، ولو قرئت بفتح أن على معنى إذ لم يؤمنوا ولأن لم يؤمنوا ومن أن لم يؤمنوا لكان صواباً»[1]، ومع ذلك لم يقرأ واحد من الأربعة عشر بفتح همزة أن بل اتفق الجميع على أنها مكسورة الهمزة[2].

ثم أرجو بعد ذلك أن نرى تأويل المبرد لحركة همزة إن في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ﴾[3].

ورابعاً: ولو كان الأمر راجعاً إلى رسم المصحف لصحت كل قراءة يحتملها الرسم ما دامت موافقة لوجه من وجوه العربية، ولكن الأمر جرى على غير ذلك.

وخامساً: اختلف القراء في (موص) من قوله تعالى:

---

(١) معاني القرآن للفراء: ص ٥٨.
(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر: ٢٨٨.
(٣) طبقات الزبيدي: ١١٠.

﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا ﴾[1]: فقرئت مُوصٍ من أوصى، وقرئت موصٍّ من وصى ـ وقد يدل ظاهر الأمر على أن هذا الاختلاف مبعثه خلو الخط العربي من الشكل الضابط لنطق الكلمة، ولا أثر للرواية فيه، ولكن الاستيعاب والتعمق ينتهيان بنا إلى أن ذلك أثر من آثار الرواية لا طبيعة الخط وآية ذلك أن في القرآن:

أوصى: وذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ ﴾[2]. فذلك دليل موصٍ.

وفيه كذلك وصّى في قوله: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾[3]. وذلك دليل مُوَصٍّ.

ومع اختلافهم في حرف (موص) على هذا النحو بالتخفيف والتشديد.

فإنه لا خلاف بينهم في (يوصيكم) بالتخفيف مع أن الرسم يحتمل التشديد كذلك.

---

(١) سورة البقرة: آية ١٨٢.
(٢) سورة مريم: آية ٣١.
(٣) سورة البقرة: آية ١٣٢.

وكذلك يقال في ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ في لقمان، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ في عسق، فمن قرأ بالتشديد حجته قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[1]، ومن ترك التشديد حجته قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[2].

هذا فيما هو خاص بالضوابط الحركية، **أمَّا ما هو خاص بالنقط**، ففي القرآن كذلك الدليل:

روى حفص عن عاصم: أولئك سوف **يؤتيهم** أجورهم. وحجته في ذلك ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقرأ حمزة «سوف نؤتيهم» بالنون. وحجته قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ﴾ وقوله: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾[3]. فيجب أن تترك الحجة الواهية التي يقول بها «جولد تسيهر» أن الرسم يحتمل التشديد والتخفيف. ويُركن

---

(١) سورة الفرقان: آية ٤٨.

(٢) سورة الحديد: آية ٢٧.

(٣) الحجة للفارسي: ٣/٣٠١.

إلى القول بالرواية، ما دامت ـ أي الرواية ـ قد ورد الدليل عليها صريحاً مروياً في أماكن أخرى.

وسادساً: نجد إماماً من الأئمة ـ اشتغل بالنحو صار فيه مقدماً، واشتغل بالقراءات حتى عد من القراء السبعة، ومع ذلك تجده **يخالف قارئاً**[1] **مذهبه نحوياً**[1]، وأسوق لذلك مثلين أحدهما لقارىء من نحاة البصرة «كأبي عمرو»، والآخر من نحاة الكوفة كالكسائي؛ لأوضح ما أقول:

قال ابن خالويه: «وأدغم أبو عمرو وحده الراء في اللام من يغفر لكم، وما شاكله في القرآن، **وهو ضعيف عند البصريين**»[2].

أرأيت كيف خالف عمرو **النحو البصري** في قراءته؟ ألا يفسر ذلك بأنه اتبع الأثر في الإدغام، وما تلقاه في روايته؟!.

ونرى الكسائي ـ كذلك ـ يتخذ موقفين متغايرين كل التغاير: فهو ـ نحوياً[1] ـ يرى أن «كلتا» ألفها ألف تثنية[3]، ويخالف بذلك البصريين الذين يقولون: إن «كلتا» ألفها

(١) منصوب على الحال.

(٢) الحجة لابن خالويه، وجه ورقة ١٠.

(٣) الإنصاف، مسألة: ٦٢.

تأنيث. وهو يميل «كلتا» قارئاً[1]. وفي ذلك دليل على أنه خالف مذهبه النحوي[2] في قراءاته؛ لتلقيه ذلك عن شيوخه بالسند المتصل[3].

وسابعاً: أن القراءة لا تجري **على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية**[4]، ومن هنا قال ابن فيره: «وما لقياس في القراءة مدخل».

ولذلك نرى في باب الإمالة ـ مثلاً ـ قاعدة تنطبق على حروف بأعيانها في القرآن الكريم، فيميل قارىء من القراء بعض هذه الحروف دون البعض الآخر[5]، وقد يجتمع في بعض الحروف من أسباب الإمالة ما لا يجتمع في حروف أخرى من جنسها، فيميل بعض القراء ما كان سبب الإمالة فيه ضعيفاً، ويترك ما كان السبب فيه قوياً[6].

---

(١) إبراز المعاني: ١٦٥.

(٢) وإرشاد المريد: ١٦٧.

(٢) انظر الإنصاف في مسألة: ٦٢.

(٣) راجع تفصيل ذلك وتحقيقه في بحثي: القراءات واللهجات العربية ـ الإمالة من ص ١٩٣ ـ ٢٠٥.

(٤) منجد المقرئين: ٦٥.

(٥) حرز الأماني: ٧٨، ط ١٣٥١ هـ.

(٦) انظر الإبانة لمكي بن أبي طالب، ورقة: ١٤، والموضح للداني: ص ٦٥، ص ٤.

وثامناً: على أنه ربما رجّح إمام من الأئمة السبعة جانب الرواية على مرسوم المصحف، فيأخذ بالأولى؛ لأنها ثابتة عنده بالنقل والأخذ عن شيوخه الذين اتصل سندهم بقراءة الرسول؛ ذلك ما روى ورش عن نافع[1]: «إنما أنا رسول ربك ليهب لك»[2] مع أنها مرسومة في المصحف ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾؛ حدّث أبو عمرو الداني عن شيوخه قال: حدثنا أبو عبيدة: «أن المصاحف كلها اجتمعت على رسم الألف بعد اللام في قوله في مريم: «لأهب لك»[3]، وقد قرأها الأئمة ما عدا ورشاً في روايته عن نافع - لأهب[4]، ولكن ورشاً رجح جانب الروايةعن شيخه نافع. وقد كان هذا الحرف موضع جدل بين الخليفة المأمون، ويحيى بن أكثم، ومحمد بن أبي محمد مقرىء المأمون[5].

وتاسعاً: وآية أن القراءة سنّة متبعة كذلك اختلاف الراويين فيما يرويان عن إمام واحد، أحدهما - في باب كالإمالة مثلاً - يقرأ بها في كثرة ظاهرة، والآخر يروي

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٩١/١١.
(٢) سورة مريم: آية ١٩.
(٣) المقنع للداني: ص ٤٥.
(٤) انظر النشر: ٣١٧/٢ وما بعدها.
(٥) انظر ذلك في طبقات الزبيدي: ٧٩.

الإمالة عن شيخه في قلة نادرة، ذلك عند راوي عاصم: أبي بكر، وحفص، وراويي نافع: قالون، وورش[1]. حتى إن حفصاً لم يمل من جميع القرآن إلّا مجـريها فقط[2]. أكان ذلك مبعثة الهوى أو أثارة من رأي أو نظر؟ أم كـان الداعي إليه الرواية والأثر؟ وهل اقتصار حفص على إمالة هذا الحرف فقط مبعثة الرسم؟ لا! إذ لا ينفرد رسم هذا الحرف بما يدل على إفراده بالإمالـة حتى يقرؤه حفص ـ دون غيره ـ مميلاً له.

وعاشراً: ومما يدل على أن القـراءة سنة، وينفي أن الرسم وخاصية الخط العربي سبب اختلاف القرّاء ما نجده من اختلاف القرّاء في الحرف الواحد ـ ذي الرسم المتحد ـ مع اختلاف المواضع كقراءة أبي جعفر «يحزن» بضم الياء وكسر الزاي في الأنبياء فقط[3]، وفتح الياء وضم الزاي في باقي القرآن[4]، وقراءة نافع ممكن في جميع القرآن بضم الياء وكسر الزاي[5] إلا في الأنبياء: فإنه فتـح الياء وضم الزاي[6].

---

(١) انظر في ذلك قرة العين لابن القاصح مثلاً.
(٢) منجد المقرئين: ٦١.
(٣) إتحاف فضلاء البشر: ٣١٢.
(٤) النشر: ٢/٢٤٤.
(٥) الإتحاف: ٢٠٠.
(٦) النشر: ٢/٢٤٤.

وأستشهد في هذا المقام بما أورد المقدسي في كتابه: «أحسن التقاسيم»، فقد رجّح قراءة ابن عامر لأسباب ذكرها، وذكر من بين هذه الأسباب أنه رأى قراءة ابن عامر قياسية: إذا استعمل التاء والتثقيل في موضع أجراه في جميع النظائر، وغيره يقول: «في سورة كذا بالثاء، وفي سورة كذا بالياء، وفي موضع سَدّاً، وموضع آخر سُدّاً، وخراجاً وخَرجاً، وكُرْها وكَرها...»؛ ثم قال:

«فإن قال خصم: أو ليس قد ناقض ابن عامر في غير موضع؟.

أجبناه: لو لم يناقض لزهدنا في قراءته، وظَنَنَّا به الظنون؛ لأن القراءة لا تؤخذ بالقياس به، فلما ناقض علمنا أنه متبع وناقل، إلا أن نقله وافق القياس»[1].

واقرأ بعد ذلك ما أوردهُ مكي بن أبي طالب حموش القيسي في كتابه الإبانة. وفيه دليل على أن اختلاف القرّاء فيما يحتمله خط المصحف ليس مرجعه أن الرسم غفل من النقط؛ وإنما مرجع الاختلاف النقل عن الرسول والصحابة، قال:

«فإن سأل سائل فقال: ما السبب الذي أوجب أن

(١) أحسن التقاسيم للمقدسي: ١٤٣.

تختلف القراءة فيما يحتمله خط المصحف، فقرءوا بألفاظ مختلفة في السمع والمعنى واحد نحو: جُذوة وجِذوة، وجَذوة؟.

وقرأوا بألفاظ مختلفة في السمع وفي المعنى نحو: يسيركم وينشركم؟.

وكل ذلك لا يخالف الخط في رأي العين؟.

فالجواب عن ذلك: أن الصحابة رضي الله عنهم كان قد تعارف بينهم من عهد النبي ﷺ ترك الإنكار على من خالفت قراءته قراءة الآخر؛ لقول النبي ﷺ: «أُنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا بما شئتم».

وبقوله: نزل القرآن على سبعة أحرف كلٌّ شاف كاف، ولإنكاره ﷺ على من تمارى في القرآن - والأحاديث في ذلك كثيرة - فكان كل واحد منهم يقرأ كما علم، وإن خالف قراءة صاحبه لقوله ﷺ: «اقراءوا كما علمتم»[1].

هذا والمطلع على كتب القراءات في تسلسل النقل وفي طرقه يجد مثلاً أعلى من إحكام الضبط، والتدقيق

---

(١) الإبانة لمكي بن أبي طالب: ١٥، تحقيق المؤلف مطبعة الرسالة، القاهرة، وطبع الطبعة الثانية بمكتبة الفيصلية بمكة المكرمة.

البـالغ غـايته في شتى النـواحي المتصلة بالقـرآن الكريم وكلماته، وآياته، وطـرق أدائه؛ ويكفي أن تقـرأ الأسانيـد المختلفـة التي أوردها ابن مجاهـد في كتـابـه المتـرجم بالقراءات، أو التي أوردها الداني في المـوضح - مـع أنه مؤلف في جانب صوتي محض!، هو الإمالة، أو البحوث الأولى في كتاب النشر لابن الجزري[1]، أو ما أورده الباب الرابع من منجد المقرئين في سرد مشاهير من قرأ بالعشرة، وأقرأ بها في الأمصار إلى الزمن الذي عاش فيه[1]، يكفي أن يقرأ بعض هذا ليعلم حرص المسلمين على كتاب الله أن يعتوره تحريف، أو يبعده عن النقل بالسند الصحيح، أو يجعـل قـراءاتـه المختلفـة تبعـاً للرسم الخـالي من النقط والحركات.

---

(١) وانظر المنجد لابن الجزري: ص ٢٩ - ٤٦.

- ٥ -

في القراءات المتخالفة بلاغة

لو أمعنت النظر لوجدت أن في القراءات المتخالفة نواحي من السمو في البلاغة، ألا ترى مثلاً اختلاف القراءة في قوله تعالى: ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ في الأعراف وفي يونس، وقد رسمت فيها بغير ألف[1] فقرأ حمزة والكسائي وخلف (سحَّار) على وزن فعَّال في الموضعين، وقرأ الباقون في السورتين ساحر على وزن فاعل[2]، واتفقوا على حرف الشعراء أنه ﴿سَحَّارٍ﴾[3] - رسمت الألف بعد الحاء في الشعراء - واختلافهم في الأعراف ويونس، واتفاقهم على التي في الشعراء أمر يقتضيه المقام - دع ما يشير إليه الرسم -؛ لأنه في الشعراء جواب لقول فرعون فيما

(١) انظر المقنع: ٢١.
(٢) النشر: ٢/٢٧١.
(٣) المقنع: ٢٢.

استشارهم فيه من أمر موسى بعد قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فأجابوه بما هو أبلغ من قوله رعاية لمراده، بخلاف التي في الأعراف، فإن ذلك جواب لقولهم، فتناسب اللفظان. وأما التي في يونس فهي أيضاً جواب من فرعون لهم حيث قالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ فرفع مقامه عن المبالغة(١).

وللأستاذ المرحوم مصطفى صادق الرافعي رأي يشبه ذلك، وهو ما ألحقه بمعاني الإعجاز؛ إذ تكون الألفاظ في اختلاف بعض صورها مما يتهيأ معه استنباط حكم، أو تحقيق معنى من معاني الشريعة، ولذا كانت القراءات من حجة الفقهاء في الاستنباط والاجتهاد. وهذا المعنى مما انفرد به القرآن الكريم، ثم هو ما لا يستطيعه لغوي أو بياني في تصوير خيال فضلاً عن تقرير شريعة(٢)، وهيهات أن يكون شيء من ذلك إذا كانت القراءات تابعة لخاصية الخط العربي في خلوه من النقط والشكل!! أكان الاختلاف من أجل الرسم يتضمن هذه البلاغة حين يتفقون وحين

---

(١) النشر: ٢/٢٧١.
(٢) إعجاز القرآن: ٥٣، الطبعة الثالثة.

يختلفون؟! فكيف نسلك سبيل المتحاملين على الإسلام، ونشايعهم في آرائهم من غير تدقيق في النظر أو إحكام؟.

وبعد: فأشهد الله أني كتبت هذا الفصل غير مدفوع بعقيدة تسيطر على البحث، أو توجِّه في التأويل، ولكني تجردت وشككت حتى وصلت إلى وجه الحق واليقين، وانتهيت كما ترى إلى أنَّ هذا القرآن الكريم ـ بقراءاته الصحيحة ـ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

- ٦ -

رسم المصحف وموقف قدامى النحويين والقراء منهُ

وقف القدامى من المحتجين للقراءات - نحويّين وقرّاء - من رسم المصحف مواقف مختلفات، فمنهم من ينظر إليه، ويستعين به، ويعتمد عليه، ويمنحه فضل اهتمام في الاحتجاج والتعليل، وهؤلاء - في الأعم الأغلب - هم القرّاء، ويمثلون مدرسة الأثر... ومنهم من لا يعتمد عليه، سالكاً سبيل أهل الرأي في الاحتجاج والتخريج، وهؤلاء هم فريق من النحاة.. ويمثلون مدرسة القياس والنظر، وفيما يلي بيان لمواقف هؤلاء من الاحتجاج برسم المصحف...

* * *

أما سيبويه (١٨٠ هـ) فكان يحتج لبعض الأوجه الأعرابية في القراءات بما هو مرسوم في بعض المصاحف؛

ففي حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[1] قال:

زعم هُرون أنها في بعض المصاحف: «ودوا لو تدهن فيدهنوا»[2]، وقد أوردها Jeffry في مصحف ابن مسعود[3]، ووجدتها كذلك[4]، وكذلك وردت في مصحف أبي، والأعمش[5].

وذكر سيبويه قول الله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾[6] ثم قال: وزعموا أنها في مصحف أبي أنهم لا يقدرون[7]، وقد ذكرها جفري في كتاب المصاحف بكسر الهمزة ـ وهو خطأ[8].

وسيبويه باستشهاده بما جاء في المصاحف على هذا النحو يقرب من أهل النقل والأثر، وهي ظاهرة لو انضمت

---

(١) سورة القلم: آية ٩.
(٢) الكتاب: ١/٤٢٢.
(٣) P. 103.
(٤) المصاحف للسجستاني: ٦٣.
(٥) انظر ما أورده P. 47: Jeffry
(٦) سورة الحديد: آية ٢٩.
(٧) الكتاب: ١/٤٨١.
(٨) P. 169.

إلى قوله: «والقـراءة لا تخالف؛ لأنها سنّة»[1] فـإن ذلك يجعلني أضع سيبويه مع مدرسة القرّاء الذين يأخذون بالنقل عن الأئمة، ويعتدّون برسم المصحف، ولكن ما جاء في كتابه من اعتداد بالقيـاس وتضعيف بعض الأئمة القـراء ـ يدفعني إلى القول بأنه كان متردداً بين المذهبين، وهو إلى مذهب القياس ومدرسته أقرب؛ ذلك لأن الملاك العام في احتجـاجـه للقـراءات أنـه أراد أن يجـريهـا على مقـاييس العربية، ومن هنـا رأينا أنـه لا يتحرج أن يصف كـلاً من القارىء والقراءة بالضعف[2]؛ لأنهما لم يتفقا مع ما انتهى إليه من قياس.

* * *

فإذا ما انتقلت إلى الفراء (٢٠٧ هـ) وجدته يتخذ موقفاً من رسم المصحف، والاعتماد عليه في الاحتجاج. ألخص معالمه الكبرى في النقاط الآتية:

أ ـ فهو حيناً يعلل محتجّـاً لرسم كتـاب المصاحف ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ من غير ألف، ورسم

---

(١) الكتاب: ١/٤٨١.

(٢) انظر مثلاً الكتاب: ٢/٤٢٣.

﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ بألف[1].

ب ـ وقد تكون القراءة صحيحة خالفت رسم المصحف المخالفة الجائزة على النحو الذي بينه في هذا البحث، فيحتج لها الفراء[2].

جـ ـ وقد يرتضي القراءة الشاذة التي تجوزها العربية، وإن كانت مخالفة للرسم[3].

د ـ وقد ينفي شهوته (كذا) قراءة صحيحة؛ لأنها مخالفة للرسم[4].

هـ ـ ورأيته يحتج لرجوع الكسائي عن قراءة إلى أخرى بموافقتها قراءة العامة، والكتاب[5].

وهكذا نرى الفراء لا يخضع لاتجاه معين، أو نظرة إلى رسم المصحف مطردة؛ فهو حيناً يرتضي ما يخالف الرسم، وأحياناً يشير إلى موافقة الكتاب فيحتج برسمه. على أن

---

(١) معاني القرآن للفراء: ٢.
(٢) معاني القرآن: ٨٨.
(٣) انظر المصدر السابق: ٩٦.
(٤) معاني القرآن: ١٢٥.
(٥) معاني القرآن: ٢٠٢، والمقصود بالكتاب هنا رسم المصحف...

الاتجاه ـ في أغلبه ـ يدل على أنه معتد بالرسم إذا وجد له وجهاً من كلام العرب[1]، وذلك يجعله بين أهل الأثر، ويبعده عن أصحاب القياس والنظر.

وقد رأيت أبا جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ) يروي في كتابه: جامع البيان في تفسير القرآن ـ القراءات المختلفة مسندة إلى من قرأها، يستجيز منها بعضاً فيرجحه، ولا يستجيز بعضاً فيفسده، كما رأيته يتخذ من وسائل الترجيح رسم المصحف ويقول: «ليس لأحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين»[2]. وفي الاحتجاج لقراءة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾[3] يقول: «وعلى هذه القراءة قراءة الأمصار، وبه رسوم مصاحفهم، وبه نقرأ؛ لإجماع الحجة من القراء عليه، ووفاقه خط مصاحف المسلمين»[4].

* * *

والرسم عند أبي سحق الزجاج (ت ٣١١ هـ) لا يخالف، ويتخذه الزجاج حجة في تحذير القارىء أن يقرأ

---

(١) انظر الصاحبي لابن فارس: ١١.
(٢) جامع البيان: ٢/٤٨.
(٣) سورة المؤمنون: آية ٦٠.
(٤) جامع البيان: ١٨/٢٣.

بما يخالفه، ويحتج الزجاج برسم المصحف في اللغويات، والإعراب، والصرفيات. وإليك مثالاً لكل واحدة من هذه(1):

قال في الاحتجاج برسم المصحف في **اللغويات**: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ أي سكنت قلوبكم، ويقال: اطمأن الشيء إذا سكن، وطمأنته إذا سكّنته، وقد روى: اطبأن بالباء. ولكن لا تقرأ بها؛ لأن المصحف لا يخالف ألبته.

ويقول محتجاً برسم المصحف في **الإعراب**: «وأما رفع يؤتون في قوله تعالى: ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ فعلى: فلا يؤتون الناس نقيراً إذاً، ومن نصب فقال: فإذا لا يؤتوا الناس جاز ذلك في غير القراءة، فأما المصحف فلا يخالف.

تعليق: قرأ بالنصب ابن مسعود(2).

وأما تحذيره القارىء أن يقرأ بما يخالف الرسم فيما يتعلق بالصرفيات فذلك قوله: «وأما من يرتدد فهو الأصل؛

---

(1) يرجع إلى معاني القرآن للزجاج في مواطن الآيات التي وردت في هذه الأمثلة.
(2) انظر البحر المحيط: ٣/٢٧٣.

لأن التضعيف إذا سكن الثاني من المضاعفين ظهر التضعيف نحو قوله: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ ولو قرئت: إن يمسكم قرح كان صواباً، ولكن لا تقرأن به لمخالفة المصحف، ولأن القراءة سنّة».

* * *

ويمثل أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) مدرسة الأثر تمثيلاً خالصاً، فهو في كتاب ـ القراءات ـ يحتج بما حدَّث به الشيوخ مسنداً إلى الإمام القارىء، كما يحتج برسم المصحف.

وفي الاحتجاج بالرسم يقول: «قرأ ابن عامر وحده: «قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه» بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام»[(١)].

ومن أجل تمسك ابن مجاهد بالإسناد عن شيوخه، ورسم المصحف في الاحتجاج ـ دفع الوزير ابن مقلة إلى تعذيب ابن مقسم الذي خالف في قراءته الأساس الأول؛ إذ كان يقول: إن كل قراءة وافقت المصحف؛ ووجهاً في

(١) الحجة: ١/٤٧٢، مراد ملا.

العربية فالقراءة بها جائزة، وإن لم يكن لها سند[1]، كما عذب ابن شنبوذ الذي كان يقرأ معتمداً على السند، وموافقة العربية، وإن خالف المصحف الإمام[2].

* * *

وكان ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) مولعاً بالاحتجاج برسم **المصحف**. متعبداً بما رسم الكاتبون في السواد ـ على حد تعبيره ـ وقرَّبه ذلك من مسلك أهل الأثر، وفيما يلي أمثلة مختلفات تجلي ما كان لابن خالويه من اتجاه:

أ ـ قال ابن خالويه: «قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قرأه حمزة بإشباع فتح الشين، ووقفه على الياء قبل الهمزة، وكذلك يفعل بكل حرف سكن قبل الهمزة، والحجة له في ذلك أنه أراد صحة اللفظ بالهمزة وتحقيقها على أصلها، فجعلها كالمبتدأ، وسهّل ذلك عليه أنها في حرف عبدالله **مكتوبة في السواد شاي بالألف**...»[3] وقد رسمت كذلك في مصحفه حيثما وردت في القرآن الكريم[4].

(١) طبقات القراء: ١/ ١٢٤.

(٢) طبقات القراء: ٢/ ٥٤.

(٣) الحجة لابن خالويه: وجه ورقة ص ٦.

(٤) انظر المقنع للداني: ٥٦.

ب ـ وقال في الاحتجاج لمن قرأ اتخذتم بالإظهار: «أتى بالكلمة على أصلها، واغتنم الثواب على كل حرف منها»[1].

جـ ـ وقال: «قوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ تقرأ هزؤاً، وكفؤاً بالضم والهمز، وجزءاً بإسكان الزاي والهمز، والحجة في ذلك اتباع الخط، لأن هزؤاً وكفؤاً[2] في المصحف مكتوبان بالواو، وجزءاً بغير واو، فاتبعوا في القراءة تأدية الخط».

د ـ وقال: «قوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ يقرأ، وما شاكله: «ما أغنى عني ماليه، سلطانيه، وما أدراك ما هيه»[3] بإثبات الهاء، وطرحها في الإدراج. فالحجة لمن أثبتها أنه اتبع الخط فأدى ما تضمنه السواد، والحجة لمن طرحها أنه إنما أثبت لتبين بها حركة ما قبلها في الوقف، فلما اتصل الكلام صار عوضاً منها، وميزانها في آخر الكلام كألف الوصل في أوله. وكان بعض القراء يتعمد الوقوف على الهاءِ؛ ليجمع بذلك موافقة الخط، وتأدية اللفظ..»[4].

---

(١) الحجة لابن خالويه: ظهر ورقة ص ٨.
(٢) الحجة لابن خالويه: ظهر ورقة ١٠.
(٣) الحجة لأبي علي الفارسي: ١٧/٣، ن البلدية.
(٤) الحجة لابن خالويه: وجه ورقة ص ٣٠.

فـإذا مـا أردنـا أن نعـرف رأي الفـارسي (٣٧٧ هـ)، واحتجاجه في هذا الحرف: «لم يتسنه» رأيناه يقول ما يفهم منه أنه لا يذهب مذهب ابن خالويه في الاحتجاج بـرسم المصحف؛ بل يحكم القياس والنظر، وذلك حيث يقول:

«فأما قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمـرو، وعاصم، وابن عامر - هذه الحروف كلها بإثبات الهاء في الـوصل: «لم يتسنه. . وما شاكله» فبان ذلك مستقيم في قياس العربية في «يتسنه»، وذلك أنهم يجعلون اللام في يتسنه الهاء، فإذا وقفوا وقفوا على اللام، وإذا وصلوا كان بمنزلة لم يتقه زيد ولم يجبه عمر. . .» ثم قال أبو علي:

قال أحمد بن موسى: «لم يختلفوا في كتابيه، وحسابيه أنهـا بالهـاء في الوصـل، فاتفـاقهم في هـذا دلالـة على تشبيههم ذلك بالقوافي، وذلك أنـه لا يخلو من أن يكون لهذا والتشبيه، أو لأنهم راعوا إثباتهـا في المصحف، **فلا يجوز أن يكون لهذا الوجه؛ ألا ترى أن تاءات التأنيث أو عامتها قد أثبتت في المصحف هاءات**؛ لأن الكتابة على أن كل حرف منفصل من الآخر، وموقوف عليه، فلو كان ذلك للخط لوجب أن يجعل تاءات التأنيث في الـدرج هاءات لكتابتهم إياها هاءات، ولوجب في نحـو قوله: ﴿ إِخْوَانًا

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾[1] أن يكون في الدرج بالألف، لأن الكتابة بالألف، فإذا لم يجز هذا علمت أن الكتابة ليست معتبرة في الوقف على هذه الهاءات، وإذا لم تكن معتبرة علمت أنه للتشبيه بالقوافي»[2].

وهكـذا نرى مسلكين متخـالفين: ابن خالـويـه يعتـد اعتداداً شديداً برسم المصحف، وأبو علي الفارسي يحكم القياس في الاحتجاج، ولا يرى أن يأخذ برسم المصحف فيه ـ غالباً ـ . . .

* * *

وقد رأيت علي بن عيسى الرماني (٣٨٤ هـ) في كتابه معاني الحروف يعتد برسم المصحف، حتى إنه قال في رد روايـة قنبـل عن ابن كثيـر: «لأقسم» على أن الـلام لام القسم ـ وهذه القراءة فيها نظر من وجهين:

أحدهما: حذف الألف التي بعد «لا» وهي في الإمام ثابتة.

والثاني: حذف النون التي تصحب لام القسم[3]».

(١) سورة الحجر: آية ٤٧.
(٢) الحجة للفارسي، ن البلدية: ٣/١٦ ـ ٢٠.
(٣) معاني الحروف للرماني: لوحة رقم ١٤.

وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) يستشهد برسم المصحف، ويعتمد عليه إذا أيد الرسم ما يذهب إليه، وإذا كان رسم المصحف متفقاً هو وسنن العربية، ولا يخالف أصلاً من أصولها:

أ ـ ذلك ما رواه ابن مجاهد عن ابن عباس في مصحف ابن مسعود: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾[1] وفيه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾[2]، وفيه: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا﴾»[3].

قال أبو الفتح: «في هذا دليل على صحة ما يذهب إليه أصحابنا من أن القول مراد مقدر في نحو هذه الأشياء، وأنه ليس كما يذهب إليه الكوفيون من أن الكلام محمول على معناه، دون أن يكون القول مقدراً معه، وذلك كقول الشاعر:

رجلان من ضبة أخبرانا أنا رأينا رجلاً عريانا

---

(١) سورة البقرة: آية ١٢٧، وانظر المصاحف للسجستاني: ٥٧.

(٢) سورة الزمر: آية ٣، وانظر تاريخ المصاحف لجفري: P. 81.

(٣) سورة الأنعام: آية ٩٣.

فهو عندنا نحن على «قالا»، وعلى قولهم: «لا اضمار قول هناك؛ لكنه لما كان أخبرانا في معنى «قالا لنا» كأنه قال: «قالا لنا»، فأمّا على إضمار قالا في الحقيقة فلا، وقد رأيت إلى قراءة ابن مسعود كيف ظهر فيها ما يقدره من القول، فصار قاطعاً على أنه مراد فيما يجري مجراه»[١].

ونراه هنا يخرج القراءة على ما يذهب إليه البصريون من تقدير القول في نحو هذه الآيات، ويجعل دليله في تخريجه، وتأييد مذهبه النحوي ما رواه ابن مجاهد في مصحف ابن مسعود.

ب ـ كذلك استعان ابن جني في الاحتجاج لقراءة: ﴿ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[٢]، وأولها معتمداً على ما جاء في مصحف عبدالله[٣].

جـ ـ ثم نراه لا يلتفت إلى الدليل الذي استشهد به يحيى بن الحارث في قراءته: «لنظر كيف تعلمون» بنون واحدة. قال ابن شعيب: «فقلت له: ما سمعت أحداً

---

(١) المحتسب: ١/١١٢ ـ ١١٣.
(٢) سورة سبأ: آية ١٤.
(٣) المحتسب: ٢/٢٣٥ وما بعدها.

يقرؤها» قال يحيى: هكذا رأينا في الإمام مصحف عثمان، قال أبو الفتح: ظاهر هذا أنه أدغم نون ننظر في الظاء، وهذا لا يعرف في اللغة. ويشبه أن تكون أن مخفاة، فظنها القراء مدغمة على عادتهم في تحصيل كثير من الإخفاء إلى أن يظنوه مدغماً»[1].

* * *

أما مكي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ) في كتابه الكشف، وأبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤ هـ) في الموضح، فقد كانت العبارة التي تتردد في كتابيهما حتى اتخذت ما يشبه النماذج التعبيرية: «هذا مع اتباعه - أي القارىء الذي يحتج له - رسم المصحف، أو نحو ذلك[2]، وهذا ظاهر عند الداني في الاحتجاج لمذاهب القراء في ذوات الياء من الأسماء والأفعال، مما هو مرسوم في المصحف بالياء»[3]، وسأناقش رأيه بعد حين.

* * *

هذه أمثلة لمواقف بعض النحاة والقراء من رسم

---

(١) المحتسب: ١/٣٨٤.
(٢) انظر مثلاً في الكشف اللوحات: ١٠، ٥٠، ٦٢، ٤٨٥، ٤٧٢.
(٣) يراجع الموضح في هذا الباب.

المصحف والاحتجاج به، والملاك العام عندي في هذا الأمر:

«**أن القراءة سنّة، فما خالف منها ظاهر الخط فلا سبيل إلّا إلى القراءة به مرجحين جانب النقل والرواية، وما وافق منها الرسم فذلك نور على نور**».

وذلك ما يشير إليه أبو شامة (٦٦٥ هـ) حيث يقول: «القراءة نقل، فما وافق منها ظاهر الخط كان أقوى، وليس اتباع الخط بمجرده واجباً ما لم يعضده نقل، فإن وافق فبها ونعمت»[١].

ومن ذلك ما ذكره الداني عن شيوخه عن عاصم الجحدري قال:

«في الإمام مصحف عثمان بن عفان في الحج: ولؤلؤاً بالألف[٢]، والتي في الملائك[٣]: ولؤلؤ خفض بغير ألف»[٤].

قال الشيخ السخاوي: وهذا الموضع أول دليل على

(١) إبراز المعاني: ٤٠٦.
(٢) سورة الحج: آية ٢٣.
(٣) سورة فاطر: آية ٣٣.
(٤) انظر المقنع: ٤٢، ومورد الظمآن: ٢٢.

اتباع النقل في القراءة؛ لأنهم لو اتبعوا الخط، وكانت القراءة إنما هي مستندة إليه لقرءوا هنا أي في سورة الحج بألف: «يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير» وفي فاطر بالخفض: «جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ»[1].

قال أبو عبيد: «لولا كراهة لخلاف الناس لكان اتباع الخط أحبَّ إليَّ فيكون في الحج بالنصب، وفي فاطر بالخفض، فإنه رسم بالألف في الحج خاصة دون فاطر»[2].

يقول ذلك أبو عبيد، ولكنه لم يقرأ به متبعاً النقل لا الرسم.

(١) وانظر عقيلة أتراب القصائد وشرحها تلخيص الفوائد: ٤٤، ٤٥.

(٢) إبراز المعاني: ٤٠٦.

- ٧ -

تقويم آراء القدمَاء من النحويين والقرّاء

وإذا وصلت إلى تقويم آراء القدامى أقول:

أمـا سيبويـه فقـد كـان على حق؛ لأنـه حين احتـج بمصحف ابن مسعود[1]، ومصحف أبي مثلا[2] ـ احتج بما هو جائز في العربية، موثق بـالأسانيـد، وإن خالف رسم المصحف الإمام، ويكفي لتجويز إعرابٍ ما أن تستشهد بما في مرسوم المصاحف التي كانت قبل المصحف الإمام؛ إذ كانت كما قلت موثقة الأسناد، ولكن لا يقرأ بها لمخالفتها المصحف المجمع عليه.

ومسلك سيبويه يبـدو طبيعياً؛ إذ كـانت صفته الأولى والباقية على الدهر أنـه نحوي ينـظر إلى المصاحف على عمومها، محتجاً بما جاء في مرسومها، غير متقيد بمصحف

(١) الكتاب: ١/ ٢٨١.

(٢) الكتاب: ١/ ٤٨١.

الإمام؛ ما دامت المصاحف الأخرى كافية على الاحتجاج على المذاهب الإعرابية في فنون الكلام.

* * *

وصحيح من الفراء والزجاج أن يرفض كل مخالفة رسم المصحف فيما يتعلق بنقص(٣) أو تبديل(٤)... من مرسوم المصحف الإمام فهذه هي المخالفة المردودة على ما انتهت إليه من قريب. أما القراءات التي يحتملها الرسم العثماني وكانت ترجع في أساسها الأول إلى السنّة على النحو الذي فصلت في قول الزجاج بالأثر فلا داعي لإقحام الاحتجاج برسم المصحف فيها، فالنص على ذلك أمر لا ضرورة له، وأرجو أن ترجعوا إلى تفسير ذلكم في مكانه من هذا البحث.

* * *

وأقول لابن خالويه من حيث مسلكه في الاحتجاج مثل ما قلت للزجاج، وأزيد أن ابن خالويه بالغ في أن جعل ثواب الله أكبر بقراءة الإظهار في قوله تعالى: «ثم اتخذتم...» فإن كرم الله لن يضيق بثوابه على القارئين لكتابه، المتعبدين بما به، ولن يكون ضيقاً حرجاً بالإدغام،

---

(١) كقراءة: فإذاً لا يؤتوا الناس نقيراً.

(٢) كقراءة: فإذا اطبأننتم.

وواسعاً عفواً بالإظهار! فثواب التلاوة ثابت في كلتا الحالين بقدر ما تخشع القلوب، وتلين الجلود!!.

* * *

أما أبو علي الفارسي فقد أراد أن يحتج للقراءات بطريق القياس والنظر، فبعد بذلك عن القول بالنقل والأثر، ولم يقل بأن القراءة سنّة إلا حين لا يستطيع أن يجري مقاييس العربية، على قراءة من القراءات المروية.

وقد سلك هذا المسلك؛ لأنه نصب نفسه للدفاع عن كتاب الله في عصر تغشاه الإلحاد، وتفشاه الكيد للإسلام، فكان عليه أن يدافع عن القرآن بالحجج التي يحتج بها أعداؤه: بالقياس والنظر.

وأرجو أن يكون مفهوماً ـ وهذه عقيدة الفارسي ـ أنه لا يقول برسم المصحف ركناً من أركان القراءة الصحيحة، ولكنه ترك جانب الأثر إلى غيره من الجوانب التي دعته إليها دواعي العصر الذي كان يعيش فيه.

والأمر مع الداني ـ ومن تأسى به كابن القاصح[1] حيث جعل من أسباب الإمالة أن تكون الألف رسمت بالباء وإن

---

(١) انظر: كتابه سراج القارىء المبتدىء: ١١٧.

كان أصلها الواو يحتاج في تقويمه إلى كلام مفصل طويل، ولكني أوثر جانب الإيجاز[1].

واختصر المعالم الكبرى للرأي في ذلك فأقول:

لا علاقة بين الإمالة ورسم المصحف، وأدعم ذلك:

أ ـ بالرسم العثماني.

ب ـ وبالأثر المروي.

جـ ـ وبما ورد في أوراق البردى المحفوظة بدار الكتب والمخطوطة في القرن الرابع الهجري.

أما فيما يتعلق بالرسم العثماني فقد تجد كلمات:

أ ـ رسمت بالألف وأميلت مثل الأقصى وأقصى المدينة، وطغى الماء.

ب ـ وأخرى كتبت بالواو وأميلت وذلك «كمشكاة».

جـ ـ وحرف ما زكى كتب بالياء، ومع ذلك لم يمل على خلاف ما يشير إليه رسم المصحف.

د ـ ولدى رسمت بالألف في يوسف، وبالباء في غافر، وكان اتباعاً لرسم المصحف: ألا يمال في الأولى، ويمال في الأخرى، ولكنه لم يمل في كليهما.

---

(١) يرجع في تفصيل ذلك إلى بحث القراءات واللهجات العربية: الإمالة، للمؤلف من ص: ١٦٧ إلى ص ١٩٧.

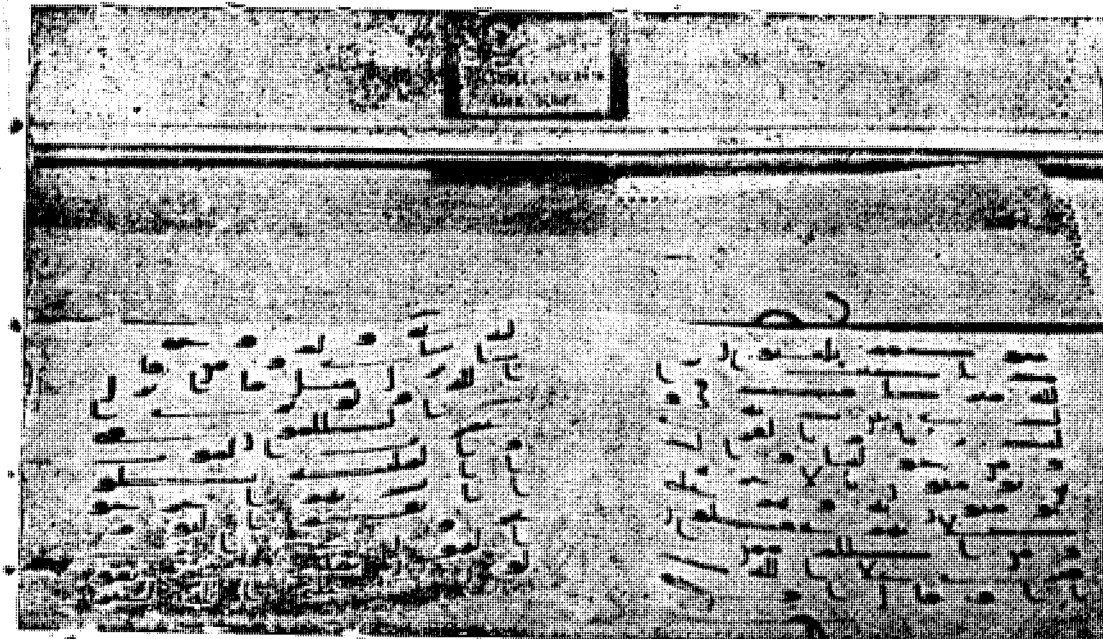
هـ ـ وقد وقعت الإمالة في ذوات الراء، وفي الكلمات التي تنتهي بتاء التأنيث عند الوقف، ولم يكن في رسمها ما يدل على الإمالة.

* * *

أما ما يكون من طبيعة الكتاب فثابت من خطئهم في هذا الباب حيث يضعون الألف مكان الياء، وبالعكس، وأن الصحابة عليهم الرضوان لم يكونوا من المجودين في هذا الباب، وقد هديت إلى مصحف كوفي قديم في محفوظات دار الكتب ـ خلا خطه من النقط والشكل مما يدل على أنه مكتوب قبل أبي الأسود الدؤلي ـ أو على الأقل ـ بالطريقة التي كانت في عهد عثمان رضي الله عنه، وظفرت بعلي وردت ثلاث مرات في صفحتين متقابلتين كتبت إحداها بالألف[١].

---

(١) وهذا مما يدل على أن ما كان حقه أن يكتب بالياء كتب بالألف كما أورد الحافظ أبو بكر السجستاني في كتابه المصاحف: أن الألف والياء في المصحف سواء. المصاحف: ١٠٤



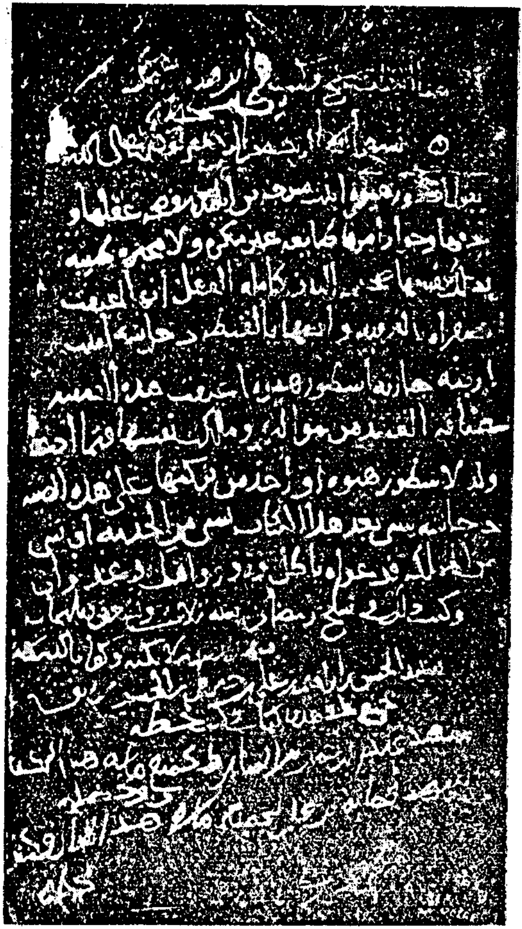
صورة شمسية لصفحتين من مصحف كوفي محفوظ
بطشقند (١٠٤ مصاحف) معرض دار الكتب بالقاهرة.

والصفحة اليمنى مكتوب فيها قول الله تعالى:

١ ـ خوضهم يلعبون	٢ ـ هذا كتاب أنز
٣ ـ لناه مبارك مصدق	٤ ـ لذي بين يديه
٥ ـ لتنذر أم القرى	٦ ـ ومن حولها والذ
٧ ـ ين يؤمنون بالآخرة	٨ ـ يؤمنون به وهم على
٩ ـ صلاتهم يحافظون	١٠ ـ ومن أظلم ممن
١١ ـ فترى علا الله كذ	١٢ ـ با أو قال أوحى

والصفحة اليسرى مكتوب فيها:

١ ـ إلى ولم يوح	٢ ـ إليه شيء ومن قال
٣ ـ سأنزل مثلما أنزل	٤ ـ الله ولو ترى إ
٥ ـ ذ الظالمون في	٦ ـ غمرات الموت
٧ ـ والملائكة باسطو	٨ ـ أيديهم أخرجو
٩ ـ أنفسكم اليوم	١٠ ـ تجزون عذاب
١١ ـ الهون بما كنتم تقو	١٢ ـ لون على الله غير



صورة شمسية لورقة من أوراق البردى المحفوظة بدار الكتب (٩٠٠ تاريخ) ويلحظ كتابة الكلمات: «فمتى أدعى، وكفى ـ فتما (كذا)، ادعا، وكفا ـ بالألف).

هذا وتعليل الداني إخلاص أبي عمرو وفتح بشراي بقوله: «لما رسمت في المصحف ألفا أخلص أبو عمرو فتحه؛ اتباعاً للرسم؛ حتى لا تجتمع ياءان» ـ هذا التعليل مردود بإمالة أبي عمرو نفسه العليا، والدنيا، والرؤيا، ورؤياك، ورؤياي، والحوايا، ومحياي، وهداي مع أن كلاً منها مرسومة في المصحف بالألف وبإمالتها تجتمع ياءان.

وأنتهي بعد هذه المعالم إلى القول: بأن ما بين الإمالة والخط من توافق أساسه أن كلاً منهما يراعي فيه الرجوع بالألف إلى الياء أو أنها ناشئة من الياء؛ لكن هذا التوافق بين الإمالة والخط ليس بدائم؛ لأن للإمالة أسباباً أساسها التلقي والرواية، وأن الذين ربطوا بين الإمالة والخط ـ كالداني وابن القاصح ـ لحظوا فقط كثرة التوافق، وجروا وراء القول بالرسم من غير أن يدققوا أو يتعمقوا.

- ٨ -

الاختيار عند القراء

وإذ انتهيت هنا، ـ وفي الرد على «جولدتسيهر» إلى أن القراءة أساسها التلقي والرواية ـ أود أن أشير إلى موضوع اختيار القرّاء وهو يتصل بسنّية القراءة، والقول بالأثـر فيها ذلك هو موضوع «الاختيار عند القراء». فقد كان لعبدالله بن قيس التـابعي المشهـور (مـات بعـد ٨٠ هـ) اختيـار في القراءة[١]:

وشيبة كان يقول: «انظر ما يقرأ أبو عمرو (١٥٤ هـ) مما يختار لنفسه، فإنه سيصير للناس إسناداً»[٢].

«وكان الكسائي (١٨٩ هـ) يتخير القراءات؛ فأخذ من قراءة حمزة بعضها وترك بعضاً»[٣].

---

(١) طبقات القراء: ٤٤٢.
(٢) المصدر السابق: ١/٢٩٢.
(٣) المصدر السابق: ١/٣٨.

«كما تجد ليحيى بن سليمان (٢٢٧ هـ) وأبي حاتم السجستاني (٢٥٥ هـ)[1] مثل ذلك».

وأجد أبا علي الفارسي (٢٧٧ هـ) يقول في تخصيص حمزة بإمالة الأشرار والقرار وذات قرار، والقهار والبوار دون ما عداها من الكلم مما كان في قياسها على صورتها: «فالقياس في ذلك وغيرها واحد، ولعله اتبع في ذلك أثراً ترك القياس إليه، أو أحب أن يأخذ بالوجهين، وكره أن يرفض أحدهما ويستعمل الآخر، مع أن كل واحد مثل الآخر في الحسن والكثرة»[2].

والذي أريده هنا من عرض هذه الأمثلة من النصوص التي تشير إلى اختيار القرّاء في قراءتهم أن أبيّن أن هذا الاختيار يكون صحيحاً إن وافق أثراً مروياً يدعمه ويستند إليه. فلا يسبقن إلى الذهن أن القراء غير مقيَّدين في هذا الاختيار فهما لمعنى لفظ الاختيار على اطلاقه وعمومه، وإلا كانت المسألة فوضى لا نظام لها ولا رابط. وها هو ذا الشيخ طاهر الجزائري في كتابه التبيان بيَّن قيود الاختيار حيث يقول: «الاختيار عند القوم أن يعمد من كان أهلاً له

(١) انظر طبقات القراء: ١/ ٣٢٠.
(٢) الحجة للفارسي: ١/ ٣٧٦.

إلى القراءات المروية فيختار منها ما هو الراجح عنده، ويجرد من ذلك طريقاً في القراءة على حدة، وقد وقع ذلك من الكسائي، وممن اختار من القراءات كما اختار الكسائي: أبو عبيد، وأبو حاتم، والمفضل، وأبو جعفر الطبري»(١). وأزيد على قيدي الجزائري: أن يكون الاختيار موافقاً للرسم.

وها هو ذا مكي بن أبي طالب، بعد أن ذكر اختيارات: يعقوب الخضرمي، وعاصم الجحدري، وأبي حاتم السجستاني، يقول: «وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء: قوة وجهه في العربية، وموافقته للمصحف، واجتماع العامة عليه»(٢).

ثم فسر المراد بالعامة بقوله: «والعامة عندهم ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة فذلك عندهم حجة قوية».

وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين.

ولذا صحت اختيارات، وبطلت أخرى لعدم استيفائها ما شرط في صحة الاختيار؛ فعيسى بن عمر الثقفي (١٤٩ هـ) لم يصح اختياره، وكذلك الفراء (٢٠٧ هـ) كما

---

(١) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن: ٩٩.

(٢) الإبانة: ٨.

بدا في معاني القرآن، وعُذِّبَ ابن شنبوذ (٣٢٧ هـ) على اختياره كما عُذِّبَ ابن مقسم (٣٥٤ هـ). وقد خالف بعض هؤلاء النقل كعيسى بن عمر، والفراء، وابن مقسم، وخالف الآخرون الرسم المخالفة المردودة كابن شنبوذ، ومن هنا لم يكتب لقراءتهم الذيوع والتوثيق مع إمامتهم وأهليتهم للاختيار ـ كما كتب للأئمة الآخرين الموثقين.

ومما يلقي ضوءاً على وجوب تقييد الاختيار بالأثر المروي قول ابن خالويه (٣٧٠ هـ) في صدر كتابه الحجة «وبعد فإني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل، وإتقان الحفظ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ، فرأيت كلًّا منهم ذهب في إعراب ما انفرد به من حروفه مذهباً من مذاهب العربية لا يدفع، وقصد من القياس وجهاً لا يمنع، **فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية، غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار**»[1].

وهذا يفسر لنا اختلاف الروايتين عن إمام واحد؛ فكل منهما اختار لنفسه قراءة تلقاها عن إمامه، غير خارجة عن الآثار، فاختار القراء بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به؛

(١) الحجة لابن خالويه: ١.

فآثره على غيره، وداوم عليه، ولزمه حتى اشتهر عنه، وعرف به، وقصد فيه، وأخذ عنه، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء، وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأى واجتهاد[1].

لذلك كان أبو عمرو البصري ـ مثلاً ـ يقول: «لولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قرىء لقرأت كذا، وكذا»[2].

وكذلك رُوِيَ عن ابن عامر أنه لم يتعد فيما ذهب إليه الأثر، ولم يقل قولاً يخالف فيه الخبر[3] وكان نقله موافقاً ـ مع ذلك ـ القياس[4].

وقالوا عن حمزة: «إنه لم يقرأ حرفاً إلا بأثر[5] كما قالوا عن غيرهم من الأئمة مثل يحيى بن سلام (٢٠٠ هـ) الذي كان له اختيار في القراءة من طريق الآثار[6]، ومثله

(١) النشر: ١/٥٢.
(٢) طبقات القرّاء: ١/٢٩٠.
(٣) المصدر السابق: ١/٤٢٥.
(٤) أحسن التقاسيم: ١٤٣.
(٥) طبقات القرّاء: ١/٢٦١.
(٦) المصدر السابق: ٢/٣٧٣.

القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) الذي وافق اختياره العربية والأثر»[1].

وأنتهي إلى تسجيل هذه النتيجة وهي «أن ما كان من هذه الاختيارات مبنياً على التلقي والرواية، موافقاً للعربية، ورسم المصحف الإمام - أخذ به، وإلا رد كما رد اختيار كثير من الأئمة في النحو واللغة وعلوم القرآن».

---

(١) طبقات القرّاء: ١٨/٣.

- ٩ -

الحقائق الكبرى في البحث

وبعد: فيجمل بي أن ألخص الحقـائق الكبرى التي وردت في غضون هذا البحث:

أولاً: المراد بالمصحف المصحف الإمام الذي أمـر بكتـابته سيـدنـا عثمـان، وأجمـع عليـه الصحـابـة عليهم الرضوان.

ثانياً: كانت المصاحف في عهد أبي بكر وعمر مشتملة على الأحرف السبعة التي أذن الله للأمة التلاوة بها؛ تيسيراً عليها، فلمّا أن كتبت المصاحف العثمانية أصبحت التلاوة بما جاء في المصاحف التي كانت من قبـل شاذة؛ لأنهـا شذت عن الإجماع الذي انعقد بالصحابة، ومن هنا شذت قراءة ابن شنبوذ.

ثالثاً: المخالفة المردودة هي التي تخالف مصحف عثمان

بزيادة عليه، أو نقص منه، أو تبديل فيه، ولو كان ذلك مما جاء في المصاحف القديمة.

رابعاً: القراءات سنّة متبعة، أساسها التلقّي والرواية، وقد تليت ورويت قبل أن تكتب مصاحف عثمان، ثم تحرّى الكتبة في عهد عثمان هذه الروايات الثابتة بالتلقي عن رسول الله ﷺ، وإذن هي أصل والرسم فرع عنها تابع لها ـ لا كما يقول «جولدتسيهر» ومن تابعه من المحدثين من أن الرسم أصل لاختلاف القراءات بما خلا من النقط والشكل، وقد ناقشت رأيه، وبرهنت على خطله بالأدلة المستنبطة من طبيعة اللغة، وحقيقة الرواية.

خامساً: يجوز الاحتجاج على الأوجه الإعرابية بما جاء في مرسوم المصاحف في عهد أبي بكر وعمر؛ لأنها موثقة بالرواية الصحيحة، والسند المتصل ـ مع شذوذها في بعض ما جاء فيها مخالفاً المصاحف العثمانية. وقد فعل ذلك سيبويه، وكان على شريعة من الأمر.

سادساً: لا داعي إلى القول برسم المصحف في الاحتجاج فيما يغني عنه القياس أو القول بالأثر؛ ليسد باب الشبهات التي يرمي بها الملحدون الإسلام والمسلمين في

كتابهم الكريم، وهذا ما كان من أبي علي الفارسي (رحمه الله) في كتابه الحجّة.

سابعاً: لا صلة بين مذاهب القراء في الإمالة ورسم المصحف؛ لما ذكرت من براهين في غضون هذا البحث.

ثامناً: جعل القراء رسم المصحف ركناً من أركان القراءة الصحيحة وهم يريدون المصحف الإمام بعد أن انتزعت المصاحف القديمة بما فيها من مخالفة لمصحف عثمان بالحذف والتقديم والتأخير...

تاسعاً: الاختيار الصحيح في القراءة مقيد بأن يكون المختار من أهله، ووافق فيه اللفظ والحكاية طريق النقل والرواية، ورسم المصحف الإمام، وهو مردود إذا فقد شرطاً من هذه الشروط، والله أعلم.

- ١٠ -

مَلاحِقُ البَحْثِ

١

الملحق الأول

وفيه أورد ما ذكره مكي بن أبي طالب في كتابه «الإبانة عن معاني القراءات»[1] في سبب اختلاف القراءة فيما يحتمله خط المصحف..

وسنرى مكياً يَرْجِعُ ذلك إلى أن الصحابة رضوان الله عليهم قرءوا القرآن بما تلقوه عن رسول الله ﷺ، وعلمهم إياه، وكان الصحابي لا ينكر على أخيه قراءة تتخالف هي وقراءته لقوله عليه الصلاة والسلام: «نزل القرآن على سبعة أحرف، كلٌّ شاف كاف».

ولما مات النبي ﷺ، وتفرّق الصحابة في الأمصار، يفقهون الناس في الدين، ويقرءونهم القرآن، أقرأ كل واحد

(١) حققه المؤلف ونشرته مكتبة نهضة مصر، سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.

منهم أهل مصره على ما كان يقرأ على عهد النبي، وعلى ما تلقاه عنه، فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علموهم، وتلقّوا عنهم. . .

فلمّا وجهت إليهم المصاحف التي كتبها عثمان ـ وكانت خالية من النقط والشكل قرأ أهل كل مصر مصحفهم على ما كانوا يقرءون قبل وصول المصاحف إليهم، وكانت قراءتهم متصلة السند بالصحابة الذين تلقوا عن الرسول. . إلى جانب أنها لا تختلف مع خط المصحف. .

هذا هو التفسير الصحيح لاختلاف القراءات، ومن ذلك التفسير يتبين أن القراءات المتخالفة سابقة لرسم المصحف، وأنّ الصحابة ومن تلقى عنهم من أهل الأمصار قرءوا المصاحف التي وجهت إليهم على حسب ما تلقوه متصلاً سنده بالرسول، واختلفت قراءة أهل كل مصر عن الآخرين من أجل ذلك؛ لأنهم تخالفوا بسبب خلو المصاحف من النقط والشكل. .

وإليك ما قاله مكي في هذا الموضوع، قال(١):

فإن سأل سائل: ما السببُ الذي أوجبَ أن تختلفَ القراءةُ فيما يحتملُ خطُّ المصحف، فقرءوا بألفاظ مختلفة

(١) ص ١٤.

في السمــعِ والمعنى واحـد. نحــو: جُــذوة وجِــذوة، وجذَوة[1].

وقرءوا بألفاظ مختلفة في السمـعِ وفي المعنى نحو: يسيُركم، وينشركم[2].

وكلٌّ ذلك لا يخالفُ الخَّط في رأي العينِ؟.

فالجوابُ عن ذلك: أن الصحابة رضي الله عنهم كان قد تعارفَ بينهم من عهد النبي ﷺ تركُ الإنكـارِ على من خالفت قراءتُه قراءةَ الآخر، لقول النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا بما شئتم».

ولقوله: «نزل القرآنُ على سبعـةِ أحرف، كـل شاف كاف».

---

(١) في قوله تعـالى: ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ سورة القصص: آية ٢٩.
وقرأ عاصم: جذوة بفتح الجيم، وقرأ حمزة وخلف بضمهـا، والباقون بكسرها وهي لغات ثلاث في الفاء كالرشوة والربوة. (إتحاف فضلاء البشر: ٣٤٢).

(٢) في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ سـورة يونس: آية ٢٢.
قـرأ ابن عامـر وأبو جعفـر ينشركم من النشـر ضد الـطي أي يفرقكم، والباقون «يسيركم» أي يحملكم على السير ويمكنكم منه (الإتحاف: ٢٤٨).

ولإنكاره ﷺ على من تمارَى في القرآن.

والأحـاديث كثيرة، سـأذكر منهـا طرفـاً في آخر هـذا الكتاب إن شاء الله.

فكان كلُّ واحد منهم يقرأ كما عُلِّم، وإن خالف قراءةَ صاحبِهِ لقوله ﷺ: «اقرءوا كما علمتم».

وحـديث عمر[1] مـع هشـام بن حكيم[2] مشهـور؛ إذ تخاصم معه إلى النبي ﷺ في قراءة سمعَه يقرؤها، فأنكرها عمـر عليه، وقـاده إلى النبي ﷺ ملبَّباً بـردائه[3] فـاستقـرأ النبيُّ ﷺ كلَّ واحد منها، فقال له: «أصبتَ»، ثم قالَ:

«إنَّ هذا القرآنَ أنزل على سبعةِ أحـرف فاقـرءوا بما شئتم».

فكانوا يقـرءون با تعلّمـوا، ولا ينكرُ أحـدٌ عَلَى أحد قراءته.

وكان النبيُّ ﷺ قـد وجَّـه بعضهم إلى البلدانِ ليعلِّمـوا الناسَ القرآنَ والدينَ.

(١) عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين.
(٢) هشام بن حكيم صحابي ـ لم يترجم له ابن الجزري في طبقات القراء.
(٣) جمع ثيابه عند نحره ثم جره مخاصماً له.

ولما مات النبيُّ ﷺ خرجَ جماعة من الصحابة في أيام أبي بكر[١] وعمر إلى ما افتتِحَ من الأمصارِ؛ ليعلِّموا الناسَ القرآنَ والدينَ، فعلَّم كلٌّ واحد منهم أهلَ مصرِه على ما كان يقرأ على عهد النبي ﷺ، فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علّموهم.

فلما كتب عثمانُ المصاحفَ وجَّهها إلى الأمصارِ[٢] وحملهم على ما فيها، وأمرهم بتركِ ما خالفها، قرأ أهلُ كل مصر مصحفهم الذي وُجه إليهم على ما كانوا يقرءون قبل وصول المصحف إليهم مما يوافق خط المصحف، وتركوا من قراءَتهم التي كانوا عليه مما يخالفُ خط المصحف، فاختلفت قراءة أهل الأمصار لذلك بما لا يخالف الخط، وسقط من قراءتهم كلهم ما يخالف الخط.

ونقل ذلك الآخرُ عن الأوَّل في كلٍّ مصر، فاختلف النقل لذلك، حتى وصل النقلُ إلى هؤلاءِ الأئمة السبعة على ذلك، فاختلفوا فيما نقلوا على حسب اختلاف أهل الأمصار، لم يخرج واحدٌ منهم عن خط المصحف فيما

---

(١) أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم أجمعين).

(٢) البصرة، والكوفة، ومكة، والشام، واليمن، والبحرين، وأمسك لنفسه مصحفاً الذي يقال له الإمام (النشر: ١/٨).

نقـل، كما لم يخـرج واحـد من أهـل الأمصـارِ عن خط المصحف الذي وجِّهَ إليهم.

فلهذه العلة اختلفت رواية القراءِ فيما نقلوا، واختلفت أيضاً قراءة من نقلوا عنه لذلك.

واحتاجَ كلٌّ واحد من هؤلاء القراءِ أن يأخذ ممـا قرأ ويترك؛ فقد قال نافع:

قرأت على سبعين من التابعين، فما اجتمع عليه اثنان أخذته، وما شك فيه واحد تركته حتى اتبعت هذه القراءة.

وقد قرأ الكسائي على حمزة، وهـو يخالفـه في نحو ثلاثمائة حرف؛ لأنـه قرأ على غيـره[1]، فاختـار من قراءة حمزة ومن قراءة غيره قراءة، وترك منها كثيراً.

وكذلك أبو عمرو قرأ على ابن كثير، وهو يخالفه في أكثر من ثلاثة آلاف حرف؛ لأنه قرأ على غيره[2]، واختار من قراءته ومن قراءة غيره قراءة.

فهذا سبب الاختلاف الذي سألت عنه.

---

(١) الإبانة عن معاني القراءة لمكي ص: ٥٥، المكتبة الفيصلية.
(٢) المصدر السابق ص: ٥٥.

٢

الملحـق الثانـي

وأورد فيه أسئلة ثلاثة ذكرهـا مكي بن أبي طالب في كتاب «الإبانة» وأجاب عنها. . وهذه الأسئلة وأجوبتها تتصل بموضوع هذا الكتاب الاتصال الوثيق.

وها هي ذي الأسئلة الثلاثة:

ما الذي يقبل من القراءات الآن فيقرأ به؟.

وما الذي لا يقبل، ولا يقرأ به[1]؟.

وما الذي يقبل ولا يقرأ به؟.

قال مكي في الإجابة عن هذه الأسئلة: إن جميع ما رُوِيَ من القراءات على ثلاثة أقسام:

١ ــ قسم يُقْرَأُ به اليومَ، وذلك ما اجتمع فيه ثلاثُ خِلال، وهي:

---

(١) الإبانة: ص ١٨.

أ ـ أن ينقل عن الثقات إلى النبي ﷺ.
ب ـ ويكون وجهُه في العربيةِ التي نزل بها القرآنُ شائعاً.
جـ ـ ويكون موافِقاً لخطِّ المصحف.

فإذا اجتمعت فيه هذه الخلالُ الثلاثُ قرِىء به، وقطع على مغيبه وصحته وصدقه؛ لأنه أخذ عن إجماع من جهةِ موافقته لخط المصحف، وكفر من جحده.

٢ ـ **والقسم الثاني**: ما صح نقله في الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف لفظه خطَّ المصحف.

فهذا يُقْبَل، ولا يُقْرَأُ به لعلتين:

إحداهما: أنه لم يؤخذْ بإجماع، إنما أخِذ بأخبارِ الآحادِ، ولا يثبت قرآنٌ يقرأُ بِهِ بخبرِ الواحد.

والعلة الثانية: أنه مخالفٌ لما قد أجْمِعَ عليه، فلا يُقْطَعُ على مغيبه وصحَّتِه، وما لم يقطعْ على صحته لا تجوزُ القراءةُ به، ولا يكفرُ من جحدَه، وبئسَ ما صنع إذ جحدَه.

٣ ـ **والقسم الثالث**: هو ما نقلَه غيرُ ثقة، أو نقلَه ثِقَةٌ ولا وجه له في العربية.

فهذه لا يُقْبَلُ وإن وافقَ خطَّ المصحَفِ.

ولكلِّ صنفٍ من هذه الأقسامِ تمثيلٌ تركنا ذكرَه اختصاراً[1].

وقد قال إسماعيلُ القاضي في كتاب القراءاتِ له:

أن عمرَ بن الخطاب قرأ: غيرِ المغضوبِ عليهم وغيرِ الضالين[2].

قال: وهذا ـ والله أعلمِ ما جاءَ: أن القرآنَ أنزل على سبعة أحرف.

ثم قال إسماعيل: لأنّ هذا ـ وإن كان في الأصل جائزاً، فإنه إذا فعلَ ذلك رغِبَ في اختيارِ أصحاب النبي ﷺ حين اختاروا أن يجمعوا الناسَ على مصحفٍ واحدٍ مخافةَ أن يطولَ بالناس زمانٌ، فيختلفوا في القرآنِ.

---

(١) تمثيل لقراءة صح نقلها في الآحاد وصح وجهها في العربية، وخالف لفظها خط المصحف: كقراءة عمر بن الخطاب: «غير المغضوب عليهم وغير الضالين».
تمثيل ما نقله غير ثقة: ذلك الكتاب لا زيت فيه (انظر الفهرست لابن النديم).
تمثيل ما نقله ثقة ولا وجه له في العربية وإن وافق خط المصحف: كإسكان (بارئكم، ويأمركم) ونحوه (انظر النشر: ١/١٠).
(٢) سورة الفاتحة: آية ٧.

ثم قال إسماعيل: فإذا اختار الإنسانُ أن يقرأ ببعضِ القراءاتِ التي رويت مما يخالفُ خطّ المصحفِ صارَ إلى أن يأخذ القراءة برواية واحد عن واحد، وترك ما تلقتْه الجماعة عن الجماعةِ، والذين هم حجة على الناسِ كلّهم ـ يعني خط المصحف.

قال إسماعيل: وكذلك ما روي من قراءة ابن مسعود وغيره ليس لأحد أن يقرأ اليوم به ـ يعني مما يخالف خط المصحفِ من ذلك[1].

قال إسماعيل: لأن الناسَ لا يعلمون أنها قراءةُ عبدِالله، وإنما هي شيءٌ يرويه بعضُ من يحمل الحديثَ. يعني أن ما خالفَ خط المصحف من القراءاتِ فإنما يؤخذ بأخبارِ الآحاد، وكذا ما وافق خط المصحف الذي هو يقينٌ إلى ما يخالف خطه مما لا يقعُ على صحَّتِه.

قال إسماعيل: فإن جرى شيءٌ من ذلك على لسانٍ من غير أن يقصد له كان له في ذلك سَعَة، إذا لم يكن معناه يخالفُ معنى خط المصحفِ المجمع عليه. ويدخلُ ذلك في معنى ما جاءَ: أن القرآن أنزل على سبعةِ أَحرُفٍ.

---

(١) مثل قراءة ابن مسعود: «إن الله لا يظلم مثقال نملة». (انظر المصاحف للسجستاني: ٥٤).

قلتُ: فهـذا كلُّه من قولِ إسمـاعيـلَ يـدل على أن القــراءات التي وافقت خط المصحفِ هي من الســبعــةِ الأحرُفِ كما ذكرنا، وما خالفَ خطّ المصحفِ أيضاً هو من السبعة إذا صحَّتْ روايتهُ ووجهـهُ في العربيـة، ولم يضادَّ معنى خط المصحف. لكن لا يقرَأُ به؛ إذ لا يأتي إلا بخبرِ الآحـادِ، ولا يثبتُ قرآنٌ بخبـر الآحـاد، وإذ هـو مخـالفٌ للمصحَفِ المجمع عليه.

فهذا الذي نقولُ به ونعتقدهُ، وقد بيّنّاه كلّه.

٣

الملحق الثالث

وأورد فيه ما ذكره مكي بن أبي طالب من أمثلة لاختلاف القرّاء في سورة الفاتحة، وقد جعل ذلك في ثلاثة أقسام:

قسم ذكر فيه اختلاف القراء السبعة مما يقرأ به ويوافق الخط.

وقسم ثان ذكر فيه اختلاف الأئمة المشهورين غير السبعة في سورة الحمد مما يوافق المصحف ويقرأ به.

وقسم ثالث ذكر فيه اختلاف الأئمة المشهورين غير السبعة في سورة الحمد مما يخالف خط المصحف فلا يقرأ به.

والحديث عن هذه الأقسام قوي الصلة بموضوع هذا البحث كما ترى.

وإليك ما أورده مكي من التمثيل لهذه الأقسام:

* * *

أولاً: ذكر اختلاف القراء السبعة المشهورين في سورة الحمد، مما قرأت به، ويوافق الخَطَّ[1]:

قرأ عاصمٌ والكسائي: مالكِ يومِ الدين بألفٍ.

وقرأ باقي القراء مَلِكِ بغير ألف.

وقرأ ابن كثيرٍ في رواية قُنْبُل[2] عنه: السراط وسراط بالسين.

وقرأه حمزة في رواية خَلَفٍ[3] عنه الصراط بين الصاد والزاي.

---

(١) الإبانة: ص ٧٣.

(٢) هو محمد بن عبدالرحمن أبو عمر المخزومي مولاهم المكي الملقّب بقنبل شيخ القرّاء بالحجاز ولد سنة خمس وتسعين ومائة، وأخذ القراءة عَرْضاً عن أحمد بن محمد بن عون النبال وهو الذي خلفه في القيام بها بمكة روى القراءة عن البزي، وممن رَوَى عنه أحمد بن موسى بن مجاهد، واختلف في سبب تلقيبه قنبلاً، فقيل اسمه، وقيل لأنه من بيت بمكة يقال لهم: القنابلة، وقيل لاستعماله دواء يقال له قنبيل فلما أكثر منه عرف به، وحذفت الياء تخفيفاً وقد انتهت إليه رياسة الإقراء بالحجاز مات سنة إحدى وتسعين ومائتين عن ست وتسعين سنة (طبقات القراء: ٢/١٦٦).

(٣) هو خلف بن هشام أبو محمد الأسدي أحد القرّاء العشرة، وأحد الرواة عن سليم عن حمزة ولد سنة خمس ومائة، ومات سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد (طبقات القرّاء: ١/٢٧٢ - ٢٧٤).

وقرأ ذلك باقي القرّاء بالصاد خالصة.

قرأ حمزة عَلَيْهُم بضم الهاء.

وكَسَرَها باقي القرّاء.

قرأ ابنُ كثيرٍ والحوانيُّ[1] عن قالونَ[2] عن نافع: عليهم بضم الميم، ويصلانها بواو في الوصلِ خاصة.

وأسكنها باقي القرّاء.

قرأ أبو عمرو: «الرحيم مَّلِكِ» بالإدغام.

باقي القرّاء بالإظهار.

فهذا ما اختلف فيه القراءُ السَّبْعةُ المشهورون في هذهِ السورةِ مما قرأتُ بِهِ.

* * *

---

(١) هو أحمد بن يزيد بن ازداذ الأستاذ أبو الحسن الحلواني إمام كبير عارف صدوق متقن ضابط خصوصاً في قالون وهشام توفي سنة نيف وخمسين ومائتين (طبقات القرّاء: ١٤٩).

(٢) قالون هو عيسى بن مينا بن وردان.

ثانياً: ذكر اختلاف الأئمة المشهورين غير السبعة في سورة الحمدِ مما يوافق المصحف، ويقرأ به:

ولما قَرَأ بـه إبراهيمُ بنُ أبي عبلة[1] الحمـدُ للَّه بضم اللام الأولى.

وقرأ الحسنُ البصرِيُّ[2] الحمدِ لله بكسر الدال.

وفي القراءتين بعدٌ في العربية، ومجازها الإتباع.

قرأ أبو صالح[3] مالكَ يوم الدين بألف، والنصب على النداء.

وكذلك قرأ محمد بن السميفع اليماني[4]، وهي قراءة حسنة.

---

(١) اسمه شمر بن يقظان الشامي الدمشقي ثقة تابعي أخذ القـراءة عن أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت يحيى الأوصابيـة، وروى عنه مالـك بن أسن وخلـق، توفي سنـة ثلاث وخمسين ومـائة (طبقات القراء: ١/ ١٩).

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري. روى عنه أبو عمـرو بن العلاء، تـوفي سنة ١١٠ عن تسعين سنـة (طبقـات القراء: ١/ ٢٣٥).

(٣) هـو محمد بن عميـر بن الربيـع أبو صـالح الهمـذاني الكـوفي القاضي مقرىء عـارف بحرف حمـزة. طال عمـره وبقي إلى حدود عشر وثلاثمائة.

(٤) هو محمد بن عبدالرحمٰن كان من أفصح العرب. قرأ على أبي =

وقرأ شريح بن يزيد الحضرمي أبـو حيوة[1] ملكَ يـوم الدين بالنصب على النداءِ من غير ألف.

وقرأ علي بن أبي طالب مَلَكَ يومَ الدين بنصبِ اللامِ والكاف، ونصب يوم. جعله فِعْلاً ماضياً.

وروى عبدُ الوارِث[2] عن أبي عمرو أنه قرأ مَلْكِ يوم الدين بإسكان اللام والخفض، ولم أقرأ بذلـك له، وهي قراءة منسوبة إلى عمَر بن عبدالعزيز رضي الله عنه.

قرأ عمرُ بن فايدٍ الأسواريُّ[3] إياكَ نعبد وإياكَ نستعين بتخفيفِ الياءِ فيهما.

وقد كرِهَ ذلك بعضُ المتأخرين لموافقتهِ لفظهُ لفظَ إيَا الشمسِ، وهو ضياؤه.

= حيوة شريح بن يزيد. وقيل إنه قرأ على نافع (طبقات القراء: ٢/١٦٢).

(١) الحمصي مقرىء الشام وهو والد حيوة بن شريح الحافظ، روى القراءة عن الكسائي، مات سنة ٢٠٣ (طبقات القراء: ٣٢٥).

(٢) هـو عبدالـوارث بن سعيد بن العنبـري مولاهم البصـري، إمام حافظ مقريء ثقة ولد سنة ١٠٢ وعرض القرآن على أبي عمرو، ومات ١٨٠ هـ.

(٣) هو عمر بن عيسى بن فـايد البغـدادي روى القراءة عـرضاً عن إدريس الحداد (انظر طبقات القرّاء: ١/١٩٥).

وقـرأ يحيى بنُ وثـابٍ[1] نِستعين بكسـرِ النـون، وهي لغةٌ[2] مشهورةٌ حسنةٌ.

وروى الخليلُ بنُ أحمد[3] عن ابنِ كثير أنه قرأ: غيرَ المغضوبِ بالنصب، ونصبـهُ حسنٌ على الحالِ، أو على الاستثناءِ، أو على الصفةِ من الذين أنعمت عليهم.

قرأ أيوب السختياني[4] ولا الضألين بهمزةٍ مفتوحةٍ في موضع الألف هَمزَ وحَرَّكَ لالتقاء الساكنين، وهو قليل في كلام العرب[5].

---

(١) يحيى بن وثاب الأسدي مولاهم الكوفي تابعي ثقة كبير من العباد الأعلام، وكان حسن القراءة مات سنة ١٠٣ (طبقات القـراء: ٢٠ / ٣٨٠).

(٢) وهي لغة قيس وتميم وأسد وربيعة (انظر البحر المحيط: ٢٣).

(٣) الخليل بن أحمد أبو عبدالـرحمٰن الفراهيـدي الأزدي البصري النحوي الإمام المشهور صاحب العروض وكتاب العين. مات سنـة ١٧٠ (طبقـات القـراء: ١/٢٧٥) وانـظر إعـراب (غيـر) بالنصب على ما رواه الخليل (في البحر المحيط: ١/٢٩).

(٤) الأصل السجستاني: ولم يرد في طبقات القرّاء سجستاني اسمه أيوب. وقد أورد ابن الجزري أيوب السختياني من القرّاء (انظر طبقـات القرّاء: ١/٣٢٢) كمـا أورده بهذا اللقب في النشـر: ١/٤٧، عند نقله كلام مكي في الإبانة.

(٥) قال ابن الجزري في كتابه النشر: «كذا اقتصـر ـ مكي ـ على نسبة هذه القراءات لمن نسبها إليه، وقد وافقهم عليها غيرهم، =

وهذا كلُّه موافقٌ لخَطِّ المصحفِ، والقراءة به من رواةٍ عن الثقات جائزة؛ لصحةِ وجههِ في العربيةِ، وموافقتهِ الخَط إذا صحَّ نقلهُ.

= وبقيت قراءاتَ أخرى عن الأئمة المشهورين في الفاتحة توافق خط المصحف، وحكمها حكم ما ذكر. ذكرها الإمام الصالح الـولي أبو الفضـل الرازي في كتـاب اللوامح لـه. وأرود ابن الجزري ما ذكره الرازي» (انظر النشر: ١/٤٧ و٤٨).

ثالثاً: ذكر اختلاف الأئمة المشهورين غير السبعة في سورة الحمد مما يخالف خطَّ المصحف، فلا يقرأ بِهِ اليومَ:

قرأ أبو هريرةَ(١): مليكِ يومِ الدين بياء بين اللام والكاف، وهو معنى حسنٌ؛ لأنه بناءٌ للمبالغةِ، فهو أبلغ في الوصفِ والمدحِ من مَلكِ، ومن مالك.

قرأ ابن السوار(٢) الغنوي: هياك نعبدُ وهياكَ نستعين بالهاء في موضع الهمزة، وهي لغةٌ قليلةٌ، أكثر ما تقع في الشعر.

روى الأصمعي(٣) عن أبي عمروٍ(٤) أنه قرأ: الزراط بزاي خالصة، وهو حسنٌ في العربية.

---

(١) هو عبدالرحمٰن بن صخر أبو هريرة الدوسي الصحابي الكبير أخذ القرآن عرضاً عن أُبَي بن كعب، وإليه تنتهي قراءة أبي جعفر ونافع، توفي سنة سبع وقيل سنة ثمان وله ثمان وسبعون سنة. (طبقات القراء: ١/ ٤٧٠).

(٢) في الأصل أبو البرار والتصويب من البحر المحيط: ١/ ٢٣.

(٣) هو عبدالملك بن قريب أبو سعيد الأصمعي الباهلي البصري إمام اللغة وأحد الأعلام فيها وفي العربية والشعر والأدب روى القراءة عن نافع وأبي عمرو والكسائي مات سنة ٢١٥ عن إحدى وتسعين سنة (طبقات القرّاء: ١/ ٤٧٠).

(٤) هو أبو عمرو بن العلاء أحد القرّاء السبعة.

قرأ الحسنُ البصريُّ[1] اهدنا صراطاً مستقيماً منونتين من غير ألفٍ ولامٍ فيهما. وبذلك قرأ الضحَّاكُ[2]. وهو معنى حسن لولا مخالفتهُ للمصحف.

قرأ جعفرُ بنُ محمد رضي الله عنه: اهدنا صراطَ المستقيم بإضافة الصراط إلى المستقيم من غير ألف ولام في الصراطِ وهو جائز في العربية كدار الآخرة.

قرأ عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه: صراطَ من أنعمتَ عليهم غير المغضوبِ عليهِم وغير الضالين، فجعلَ مَنْ في موضعِ الذين وغير موضعِ لا. وهو في المعنى حسن كالذي قرأَ الجماعةُ في المعنى. وهو مروِيٌّ أيضاً عن أبي بكرٍ رضي الله عنهما.

---

(١) هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري إمام زمانه علماً وعملاً، روى عنه أبو عمرو بن العلاء وغيره.. ولد سنة إحدى وعشرين توفي سنة عشر ومائة. (طبقات القرّاء: ١/٣١٥).

(٢) وكذلك قرأها عن الحسن زيد بن علي ونصر بن عليّ. كقوله: وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله (البحر المحيط: ١/٢٦). والضحّاك هو ابن مزاحم التابعي سمع سعيد بن جبير، توفي سنة ١٠٥ هـ (انظر طبقات القرّاء: ١/٣٣٧).

قرأ ابن مسعودٍ[١]: أرشِدْنا الصراط في موضِعَ «اهدِنا» والمعنى واحد.

قرأ ثابت البناني[٢]: بصِّرْنَا الصراطَ في موضعِ اهدَنا والمعنى واحد.

قرأ ابن الزبيرِ[٣]: صراطَ مَنْ أنعمتَ عليهِم، مثل قراءة عُمَرَ في هذا الحرفِ وحدَه.

قلت: وهذا الاختلافُ الذي يخالِفُ خط المصحَفُ وما جاءَ مِنه، مما هو زيادةٌ على خطِّ المصحف، أو نقصانٌ من خطِّ المصحف، وتبديل لخطِّ المصحف - وذلك كثيرٌ جداً -: هو الذي سمِعَ حذيفةُ في المغازي، وسمَع ردَّ الناسِ بعضهم على بعضٍ، ونكيرَ بعضِهم لبعض، فجرَّأهُ ذلك على إعلام عثمان رضي الله عنه، وهو الذي حَدَا عثمانَ على جمع الناسِ على مصحفٍ واحدٍ؛ ليزولَ ذلك الاختلاف فافهمه.

---

(١) هو عبدالله بن مسعود.

(٢) هو ثابت بن أسلم أبو محمد البناني المصري، وردت عنه الرواية في حروف من القرآن العظيم، توفي سنة سبع وعشرين ومائة (طبقات القراء: ١/١٨٨).

(٣) هو عبدالله بن الزبير بن العوام.

قال أبو محمد: فهذا لا يجوزُ اليومَ لأحدٍ أن يقرَأَ به؛ لأنه إنما نُقِلَ إلينا بخبر الواحِدِ عن الواحِدِ، ولا يقطعُ على صحّةِ ذلك، ولا على غيبه وهو مخالفٌ لخط المصحف الذي عليهِ الإجماعُ، ويقطعُ على صحتهِ وعلى غيبه، فخط المصحف أولى؛ لأنه يقينٌ والخبرُ غيرُ يقينٍ، فلا يحسنُ أن يُنْتَقَلَ عن اليقين إلى غير يقين.

وقد بيَّنا هذا من قول إسماعيلَ القاضي وغيرِه.

فهذا المثالُ من الاختلاف الثالث هو الذي سَقَطَ العملُ به من الأحرفِ السبعةِ التي نصَّ عليها النبي ﷺ. وهو الأكثرُ في القرآن عن الاختلاف.

وإنما قرىءَ بهذِه الحروف التي تخالف المصحفَ قبل جمع عثمانَ رضي الله عنه الناسَ على المصحف، فبقي ذلك محفوظاً في النقلِ غير معمُول بِهِ عند الأكثر؛ لمخالفتهِ للخطِّ المجمع عليه.

٤

الملحق الرابع

وأرجو أن أدفع في هذا الملحق بعض الشبهات التي أثارها المغرضون حول كتابة الصحف، واتخذوها دليلاً لهم على وقوع اللحن في القرآن، ووسيلة إلى الطعن في كتاب الله. أثاروا هذا حول ما رواه سعيد بن جبير من أنه قال:

في القرآن أربعة أحرف لحن: «والصابئون»[1]، «والمقيمين»[2] «فأصدق وأكن من الصالحين»[3]، و«إنّ هذان لساحران»[4].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ﴾ سورة ٥، آية ٦٩.

(٢) في قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ سورة ٤، آية ١٦٢.

(٣) سورة ٦٣، آية ١٠ في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

(٤) سورة ٢٠، آية ٦٣.

كما أثاروا نحو ذلك حول ما يروى من أنه «لما فرغ من المصحف أتى بـه عثمان فنـظر فيه فقـال: قـد أحسنتم، وأجملتم، أرى فيه شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها»[1].

وهذه الشبهات التي أثاروها مردودة بأمور:

أولاً: المعنى اللغوي لكلمة اللحن.

فاللحن: اللغة، والقراءة. قال عمر رضي الله عنه: «إنا لنرغب عن كثير من لحن أُبَيّ»، يعني لغة أُبَيّ[2].

وكان عمر رضي الله عنه يقول: «أُبَيّ أقرأنا، وإنا لندع بعض لحنه» ـ أي قراءته[3].

ثانياً: قياس العربية يصحح تـلاوة هذه الكلمـات بما رسمت به.

أ ـ فلا خطأ في قراءة «الصابئون» بالرفع كما رسمت في المصـاحف فـالصـابئـون رفـع على الابتـداء، وخبـره محـذوف، والنية بـه التأخيـر عما في حيِّـز إن من اسمها وخبرها كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا.. والصابئون كذلك[4].

---

(١) المصاحف لأبي داود السجستاني: ٣٢.

(٢) المصاحف: ٣٢.

(٣) المقنع للداني: ١٢٨.

(٤) تفسير الكشاف: ١/٣٥٤.

وأنشد سيبويه شاهداً له:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم   بغاة ما بقينا في شقاق[1]

أي: فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك.

ومثله: فإني وقيار بها لغريب.

أي: فإني لغريب وقيار بها كذلك[2].

ب ـ أما قراءة المقيمين بالياء فلها وجه من سَنَن العربية، والتوجيه الإعرابي؛ فهو منصوب على المدح بتقدير: أعني المقيمين، وذلك لأن العرب تنصب على المدح عند تكرر العطف والوصف. قالت الخرنق:

لا يَبْعَدَن قومي الذين هُمُ   سمُّ العداة، وآفة الجُزْر
النازلون بكل معترك   والطيبين معاقد الأزر

فنصبت الطيبين على المدح، فكأنها قالت: أعني الطيبين[3].

قال الشاعر:

إلى المَلِكِ القَرْمِ، وابنِ الهُمام
وليثِ الكتيبةِ في المُزْدَحَم

---

(١) الكتاب: ١/ ٢٩٠.

(٢) انظر إعراب القرآن للعكبري: ص ١٢٤.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف: ص ٢٧٦.

وذا الـرأي حـين تُـغَـمُّ الأُمـورُ
بــذات الصلَّيـلِ، وذات اللُّجُم[1]

فنصب ذا الرأي على المدح[2].

قالوا: والعـرب تفعل ذلـك في صفة الشيء الـواحد ونعته، إذا تطاولت بمدح أو ذم؛ خالفوا بين إعـراب أوله وأوسطه أحياناً، ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله، وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه، وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب[3].

وقد يكون موضع المقيمين في الإعراب خفض: على «ما» التي في قوله: يؤمنون بمـا أنزل إليـه وما أنـزل من قبلك، ويؤمنون بالمقيمين الصـلاة[4] والمقيمون الصـلاة هم المـلائكـة، قـالـوا: وإقـامتهم الصلاة تسبيحهم ربهم

---

(١) القـرم: المعـظم، والمـزدحم: ميـدان القتـال حيث يـزدحم الشجعان. تغم الأمور: تظلم. الصليل: صوت الحديد وذات الصليل: كتيبة من الرجالة يصل حديد سلاحها. وذات اللجم: كتيبة من الفرسان.

(٢) الإنصـاف في مسـائـل الخـلاف: ٢٧٦، وتفسيـر الـطبـري: ٣/٣٥٣.

(٣) تفسير الطبري: ٩/٣٩٥، وإعراب القرآن للعكبري: ١/١١٣.

(٤) انظر الإنصاف: ٢٧٧، وتفسير الطبري: ٩/٣٩٦.

واستغفارهم لمن في الأرض. فمعنى الكلام: والمؤمنون بما أنزل إليه وما أنزل من قبلك، وبالملائكة[1].

جـ ـ وأما قراءة «فأصدق» وأكنْ من الصالحين بجزم «اكنْ» فله وجه من الإعراب، ذلك أنه محمول على المعنى والتقدير: إن أخرتني أكنْ[2].

د ـ وأمّا «إنّ هذان لساحران» فلا يلتفت لطعن الطاعن فيها؛ فهي قراءة متواترة قرأ بها نافع، وابن عامر، وأبو بكر، وحمزَة، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف[3]، على أن لها وجهاً فصيحاً في العربية، ذلك هو إلزام المثنى الألف في جميع حالاته، ومنه قول الشاعر العربي:

وَاهاً لسَلْمَى ثم وَاهاً واهَا ... يا ليتَ عيناها لها وفاها
وموضع الخلخال من رِجلَاها ... بثمنٍ يرضَى به أباها
إن أباها، وأبا أباها ... قد بلغا في المجد غايتاها

وهذه لغة بني الحرث بن كعب، وقبائل أخر[4].

---

(١) تفسير الطبري: ٩/٣٩٦، وانظر تفسير الكشاف: ١/٣١٣.
(٢) إعراب القرآن للكيري: ٢/١٣٨، وانظر تفسير الكشاف: ٤/١٠٣.
(٣) إتحاف فضلاء البشر: ٣٠٤.
(٤) شرح الأشموني: ١/١٤٢.

وثالث الأمور التي نرد بها طعن الطاعنين - مكانة عثمان بن عفان رضي الله عنه من الحفاظ على كتاب الله، ومحلّه من الدين، ومكانه من الإسلام، وشدة اجتهاده في بذل النصيحة..

فهل يعقل أن يرى عثمان في المصحف لحناً وخطأ ثم يتركه ليتولى من يأتي بعده تغييره؟.

عثمان الذي تولى جمع المصحف مع سائر الصحابة الأخيار، وتحرى في ذلك الدقة والأمانة وكمال الضبط؛ رغبه منه في جمع الأمة على مصحف إمام، فلا يقع اختلاف في القرآن بينهم... عثمان الذي هذا شأنه يرى في كتاب الله ثلمة فيتركها ليسدها من بعده؟.

ثم، ما هذا التناقض الظاهر بين صدر النص: أحسنتم، وأجملتم وآخرته: أرى فيه شيئاً من لحن...

كيف يصف نساخ المصحف بالإحسان والإجمال أولاً.. ثم يصف المصحف الذي نسخوه بأن فيه لحناً..؟ هل يقال للذين لحنوا في المصحف: أحسنتم وأجملتم؟![1].

---

(١) انظر المقنع للداني: ١٢٤، ومناهل العرفان: ٣٨٠.

ألا إن مكانة عثمان.. والاضطراب بين صـدر النص وعجزه ـ كل هذا يدعونا إلى الاعتقاد بأن صدور ذلك عن عثمان أمر بعيد عنه، مدسوس عليه.

٥

الملحق الخامس

هل يلتزم رسم المصحف العثماني؟

هذا سؤال أجاب عنه بعض العلماء بالإيجاب، موجبين التزام الرسم العثماني الذي جاء في المصحف الإمام، ورأوا أنه لا بد من اتباعه والتقيد به.

وهناك فريق آخر رأى أنه تجوز كتابة المصحف بالرسوم الإملائية المعروفة للناس.

ولزيادة الشرح والإيضاح، أقول: إن الفريق الأول يرى - مثلاً - وجوب كتابة الكلمات الآتية كما وردت برسمها الآتي في المصحف الإمام:

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ [١] بالكهف[٢].

﴿وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ﴾ [٣] في سورة ص[٤].

---

(١) شرح تلخيص الفوائد: ٥٦. (٢) آية: ٢٣.

(٣) شرح تلخيص الفوائد: ٥٧. (٤) آية: ١٣.

﴿ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[1] في النحل[2].

﴿ بِأَيِيّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾[3] في سورة «ن»[4].

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾[5] بالذاريات[6].

﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾[7] بالأنبياء[8].

﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾[9] في براءة[10].

يرى هذا الفريق التزام هذا الرسم، ويسوقون حججاً لما يرون؛ منها أن للرسم العثماني أسراراً، فزيادة الياء - مثلاً - في رسم كلمة «أييد» من قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا

(١) شرح تلخيص الفوائد: ٦٨.
(٢) آية: ٩٠.
(٣) شرح تلخيص الفوائد: ٦٨.
(٤) آية: ٦.
(٥) شرح تلخيص الفوائد: ٦٨.
(٦) آية ٤٧.
(٧) شرح تلخيص الفوائد: ٧٠.
(٨) آية: ٣٧.
(٩) شرح تلخيص الفوائد: ٢٩.
(١٠) آية: ٤٧.

﴿بِأَيْيْدٍ﴾ ـ يفسرها ما جاء في البرهان للزركشي: «إنما كتبت «بأييد» بياءين فرقاً بين «الأيد» الذي هو القوة، وبين الأيدي «جمع» «يد». ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر...»[1].

وزيادة الألف في: ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾[2] ﴿وَلَأَاْوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾[3] للتنبيه على أن المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه لفظاً؛ فالذبح أشد من العذاب[4]، والإيضاع أشد فساداً من زيادة الخبال[5].

وحذف الواو من قوله: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾[6]، ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾[7] للدلالة على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود[8].

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/٣٨٧.

(٢) سورة النمل: آية ٢١.

(٣) سورة التوبة: آية ٤٧.

(٤) في قوله: «لأعذبنه عذاباً شديداً».

(٥) في قوله: «لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً»، وانظر البرهان ١/٣٨١.

(٦) سورة الإسراء: آية ١١.

(٧) سورة الشورى: آية ٢٤.

(٨) مناهل العرفان: ٣٦٨.

* فعدم التزام الرسم عند هذا الفريق يضيِّع لمح هذه الأسرار، إلى أن هذا الرسم توقيفي، وما دام كذلك فلا تجوز مخالفته..

* ويستشهد هذا الفريق كذلك بقول إمامين جليلين من أئمة المذاهب: فقد سئل الإمام مالك: هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى.

والإمام أحمد بن حنبل يقول: «تحرم مخالفة خط عثمان في ياء أو ألف أو واو أو غيره»[1].

* ويقول هذا الفريق إن الرسم العثماني يدل على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة، ولتوضيح رأيهم هذا أسوق المثل الآتي:

رسمت: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾[2] هكذا: « ىكاد السموٰت ىىفطرن» من غير ضبط ولا نقط، فهي برسمها هكذا تحتمل قراءة نافع والكسائي بالياء: «يكاد السموات».

كما تحتمل قراءة الباقين من السبعة بالتاء: تكاد،

---

(١) المحكم: ١٥.
(٢) سورة مريم: آية ٩٠، والشورى: آية ٥.

وقـراءة حفص والكسائي: تَتَفـطَّرن بـالتـاء، وفتـح الـطاء مشددة.

وقراءة الباقين بالنون وكسر الطاء مخففة[1].

ويمضي هذا الفريق المحافظ إلى آخر الشوط، فيكره نقط المصاحف، ورووا عن الإمام مالك أنه قال: «جردوا القرآن، ولا تخلطوه بشيء». أو قال: «ولا تخلطوا به ما ليس منه، إني أخاف أن يزيدوا في الحروف و ينقصوا»[2].

كما كره هـذا الفريق ـ كـذلك ـ ذكـر أسماء السـور، ورسم فواتح السور، وعدد آيهن، قـال أبو بكـر السراج، قلت لأبي رزين: أأكتب في مصحفي سورة كذا وكذا؟.

قال: إني أخاف أن ينشأ قوم لا يعرفونه فيظنوا أنه من القرآن.

كما كره بعضهم أن يذكر خاتمة سورة كذا[3] وكرهـوا التعشيـر[4]، والتفصيل[5]، وكـان عبدالله بن مسعـود يحك

---

(١) التيسير: ١٥٠.
(٢) المحكم: ١٠، ١١.
(٣) المحكم: ١٧.
(٤) التعشير: وضع علامة بعد كل عشر آيات من القرآن.
(٥) التفصيل: تفصيل مـا جاء مـوجزاً في القـرآن، وذلك بـإثبات المحذوف إيجازاً بين الكلم (المحكم: ١٥).

التعشير من المصحف[1].

وقد أثيرت هذه المسألة في زماننا، وكان للجنة الفتوى بالأزهر إسهام فيها؛ إذ رأت الوقوف عند المأثور من كتابة المصحف وهجائه، واحتجت لما رأته: «بأن القرآن كتب في عهد النبي برسم كتبت بـه مصاحف عثمـان. واستمر المصحف مكتوباً بهذا الرسم في عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة المجتهدين في عصورهم المختلفة، ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعاً أنه رأى تغييـر هجاء المصحف عما رسم به أولاً إلى تلك القواعد التي حدثت في عهد ازدهار التأليف في البصرة والكوفة...»[2].

ورأى حفني ناصف عليه رحمة الله وجوب المحـافظة على الرسم العثماني؛ «لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة، وفي المحافظة احتياط شديد لبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابة، فلا يفتح فيه باب الاستحسان»[3].

* *

هذا مجمل لما رآه الفريق المحافظ المتحفظ..

---

(١) المحكم: ١٤.

(٢) انظر مجلة الرسالة: العدد ٢١٦، سنة ١٩٣٧.

(٣) ملخص من مجلة المقتطف: يوليو (تموز)، سنة ١٩٣٣ م.

ولمخالف هذا الفريق أن يقول: أنه لا سر في زيادة الألف في ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ والياء في بأييد... إلخ بل إن ما قاله الفريق المحافظ من الأسرار في ذلك ضرب من التكلف في التأويل، وإلا فما السر في زيادة الألف في ملاقوا ربهم ـ بنوا إسرائيل ـ أولوا الألباب وزيادة الياء في نبإي المرسلين. آناءى الليل...

إن ما في الرسم العثماني من زيادات أو حذوف لم يكن توقيفاً أوحى به من الله على رسوله.. ولو كان كذلك لآمنا به وحرصنا عليه، بل إن هذا الفريق ليذهب إلى ما هو أبعد من ذلك؛ فيرى أن هذا الرسم بما فيه من زيادات أو حذوف أو غيرها هو خطأ من الكتاب.

«فقد كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها»[1].

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٩، ط مصطفى محمد.

ثم إذا كان الفريق المحافظ يرى التزام الرسم العثماني؛ احتياطاً لبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابة، فإن للفريق الآخر أن يقول:

إننا نرى رسم المصحف بالإملاء المعاصر؛ حتى يقرأ القرآن صحيحاً، ويحفظ صحيحاً...

إن الطلبة في المدارس.. والمتعبدين - من غير توقيف - بتلاوة القرآن من عامة الناس إذا قرءوا القرآن مرسوماً بالرسم العثماني، فإنهم يقعون في الخطأ والتحريف..

أما إذا قرءوه مرسوماً بالرسم الذي تعارف عليه الناس؛ فإن ألسنتهم تسلم من التحريف والتبديل..

وخذ مثلاً الآيات الكريمة الآتية برسمها العثماني:

﴿مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1].

﴿مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِىٓ﴾[2].

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام: آية ٣٤.

(٢) سورة يونس: آية ١٥.

(٣) سورة القلم: آية ٨٧.

﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾[1].

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾[2].

إن القارىء الذي تعود قراءة الصحف والمجلات في زماننا بالرسم الإملائي إذا أراد أن يقرأ الآيات السابقة ـ ولم يكن لها حافظاً ـ فإن قراءته ستتخالف مع التنزيل الموحى به من عند الله.

* * *

والحق أن كلاً من الفريقين يريد بما ذهب إليه ـ الحفاظ على كتاب الله، وصونه من التغيير: من أراد التزام الرسم العثماني، ومن أراد التحرر منه في بعض الحالات، ولكلٍّ وجهة هو موليها... وكل يستبق الخيرات...

والرأي عندي:

كتابة القرآن للعامة بالرسم الإملائي الذي يتعارف عليه الناس، ولكن ليس معنى ذلك إهمال الرسم العثماني؛ بل يبقى أثراً عن أسلافنا الصالحين، يدرسه المتوفرون على البحث العلمي، ويقرؤه الحافظون لكتاب الله الذين يأمنون التغيير والتحريف.

(١) سورة يوسف: آية ٨٧.
(٢) الإسراء: آية ٨٣.

وللتدليل على هذا الرأي أقول:

إن كل دعوة لإضافة أي جديد للرسم العثماني كانت تتلقى بالتحرج أولاً؛ ولكنها على الرغم من ذلك ـ أخذت طريقها إلى الرسم؛ إيماناً من القائمين بها بأن فيها بياناً وتوضيحاً...

لقد كان المصحف خالياً من النقط، ولما اتجه بعضهم إلى نقطه رأينا من يقف دون ذلك ويقول: جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء، ثم كان أن ترخص العلماء فيه، وقالوا: العجم نور الكتاب، وأنه لا بأس به ما لم تبغوا[1].

وبدأ أبو الأسود بالنقط في الحركات والتنوين لا غير.. وجعل الخليل بن أحمد الهمز والتشديد والروم والإشمام، وقفا الناس في ذلك أثرهما، واتبعوا فيه سنتهما[2]

وقال خلف بن هشام البزار: «كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس، وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم»[3].

ثم تدرجوا في النقط والتخميس والتعشير.. وكان

(١) المحكم: ١٢.
(٢) المحكم: ٦.
(٣) المصدر السابق: ١٣.

البادئون هم الصحابة وأكابر التابعين[1]، ثم أحدثوا النقط الثلاث عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم[2].

وها نحن أولاء نرى المصاحف قد تغيرت أنواع الخط فيها: فمن كوفي غير منقوط إلى خط النسخ الشرقي أو المغربي... كما رقمت آياتها، ووضعت علامات لأوائل الأجزاء، والأحزاب، والأرباع، والوقف، والوصل، وما لا ينطق به في الوصل ولا في الوقف، والإدغام، والإظهار، والإخفاء، والمد الزائد، ومواضع السجدات، وعلامات الإمالة، والإشمام، والتسهيل[3]...

وكان الغرض من كل هذه الزيادات ـ التيسير، وصيانة القرآن الكريم من اللحن والتصحيف، وأدائه أداء فيه ضبط وتحقيق... فإذا رأى فريق التزام الرسم العثماني حفاظاً على كتاب الله فإننا نرى عدم التقيد بالرسم العثماني في

---

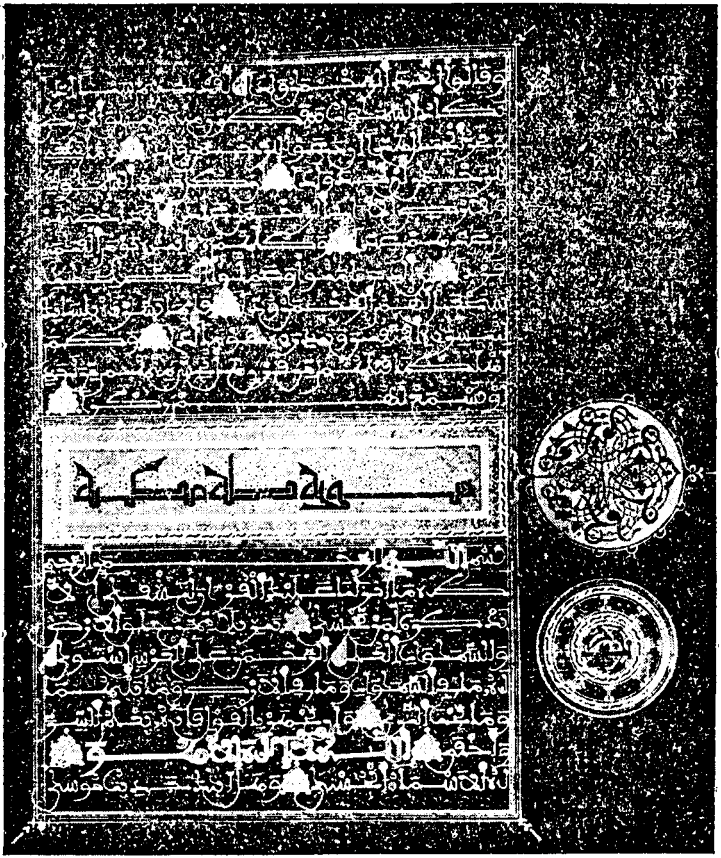
(١) انظر المحكم، ص ٢، ٣.
(٢) انظر المحكم، ص ٢، ١٧.
(٣) انظر خاتمة المصحف الأميري المطبوع سنة **١٣٤٢** هـ. وقد يقال: إن هذه المستحدثات ليست من رسم المصحف. وأقول: إنها تجتمع مع رسم المصحف في أنها تبين طريقة الأداء، وفي أن الهدف من إضافتها هو الهدف نفسه الذي نبغيه من كتابة المصحف بالرسم الإملائي المعتاد.

الميدان التعليمي وللقارئين ـ من غير توقيف ـ المتعبدين غير الحافظين؛ صيانة للقرآن من التغيير والتحريف. وفيما يلي نماذج لرسوم بعض المصاحف.

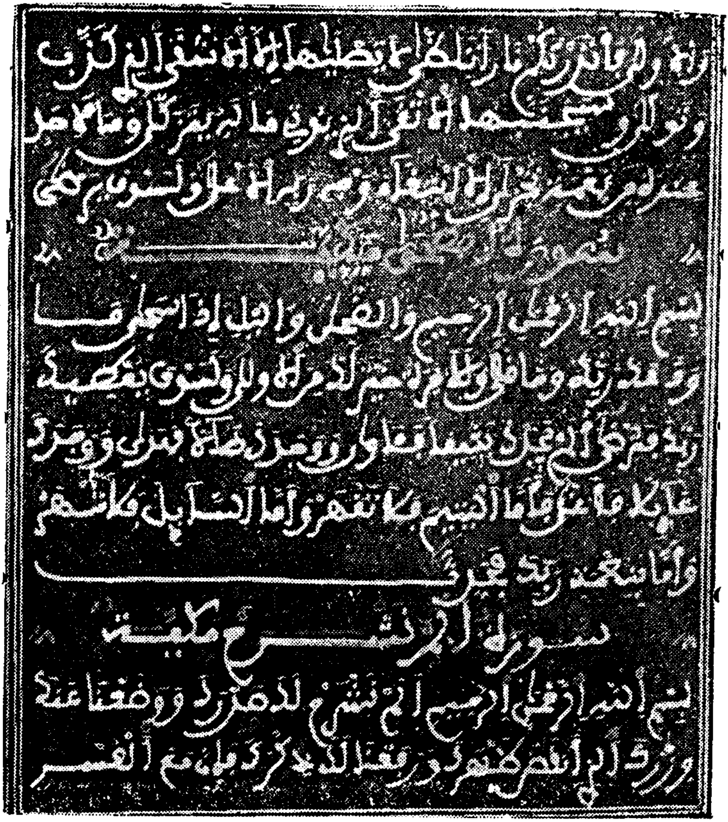
أقول هذا، والنفس أميل إلى الاحتفاظ بالرسم العثماني على كل حال. ولدينا التسجيلات القرآنية، تغني، وتحفظ من الوقوع في الخطأ. والله أعلم.



هكذا كان المصحف خالياً من الضبط والنقط



مصحف بالخط المغربي وفيه علامات الإمالة: نقطة تحت الحرف الممال وعلى يمينه.



وللآخرة والأولى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب
وتولى وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد
عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى

سورة الضحى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى والليل إذا سجى ما
ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك
ربك فترضى ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك
عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر
وأما بنعمة ربك فحدث

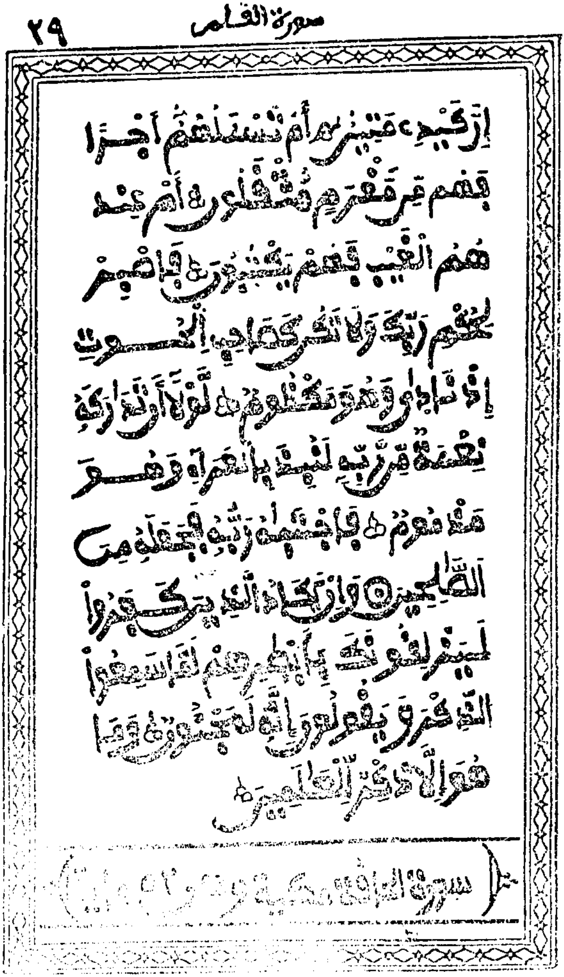
سورة ألم نشرح مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك
وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فإن مع العسر

رسم آخر لمصحف مغربي فيه علامات الإمالة: نقطة تحت الحرف الممال وعلى يمينه. وليس فيه علامة الفصل بين الآيات. ثم أنظر طريقة رسم فواصل الآيات: تلظى - تولى - الأشقى... إلخ.



مصحف كتب فوق الألفاظ الممالة فيه كلمة «مل».



«يلاحظ خلو حرف النون المتطرف من النقط»

نموذج رقم (١٥) من الخمسة أحزاب الإفريقي

وزارة التربية والتعليم بمصر ورسم المصحف:

وقد رأت وزارة التربية والتعليم أخيراً أن يكتب ما يرد في الكتب المدرسية بالرسم الإملائي المعروف، كما رأينا ما يعرض في (التليڤيزيون) من آي الذكر الحكيم مكتوباً بما تعارف عليه الناس في زماننا من رسم إملائي وبالخط الرقعي، وبحواشٍ تفسر الكلمات التي قد تغمض على العامة من الناظرين والسامعين، بل كتب للمكفوفين بالرسم البارز على طريقة (بريل). ولم يعترض على هذا علماؤنا والقائمون منا على سدانة هذا الدين.

ويؤيِّد ما ذهبت إليه الوزارة إليه بما قال سلطان العلماء العز بن عبدالسلام: «لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة؛ لئلا يوقع في تغيير من الجهال، ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه؛ لئلا يؤدي إلى دروس العلم، وشيء قد أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة»[1].

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ص ٣٧٩.

تكفل الله بحفظ كتابه:

والله من قبل ومن بعد قد تكفل بحفظ كتابه المبين، فقال وهو خير القائلين: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾.

مراجع البحث

١ ـ الإبانة: لمكي بن أبي طالب.
٢ ـ إبراز المعاني: لأبي شامة.
٣ ـ إتحاف فضلاء البشر: للبنا الدمياطي.
٤ ـ أحسن التقاسيم: للمقدسي.
٥ ـ أخبار أبي القاسم الزجاجي.
٦ ـ إرشاد المريد.
٧ ـ أساس البلاغة: للزمخشري.
٨ ـ إعجاز القرآن للرافعي.
٩ ـ إعراب القرآن: للعكبري.
١٠ ـ الإمالة في القراءات واللهجات العربية: للدكتور عبدالفتاح شلبي.
١١ ـ الانتصار: للباقلاني.
١٢ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف: لأبي البركات الأنباري.
١٣ ـ تاريخ القرآن: للزنجاني.

١٤ ـ تاريخ المصاحف: لجفري.
١٥ ـ التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن.
١٦ ـ التصحيف: للعسكري.
١٧ ـ تفسير البحر المحيط: لأبي حيان.
١٨ ـ تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن.
١٩ ـ تفسير الكشاف: للزمخشري.
٢٠ ـ تلخيص الفوائد: لابن القاصح.
٢١ ـ التيسير: للداني.
٢٢ ـ جامع البيان: «في تفسير الطبري».
٢٣ ـ الحجّة: لأبي علي الفارسي.
٢٤ ـ الحجّة: لابن خالويه.
٢٥ ـ حرز الأماني: للشاطبي.
٢٦ ـ خاتمة المصحف الأميري: طبع ١٢٤١ هـ.
٢٧ ـ سراج القارىء المبتدىء: لابن القاصح.
٢٨ ـ شرح الأشموني.
٢٩ ـ الصاحبي: لابن فارس.
٣٠ ـ طبقات القراء: لابن الجزري.
٣١ ـ طبقات الزبيدي.
٣٢ ـ عقيلة أتراب القصائد.
٣٣ ـ غيث النفع: للصفاقسي.

٣٤ ــ فضائل القرآن: لابن كثير.
٣٥ ــ فقه اللغة: للأستاذ الدكتور عبدالواحد وافي.
٣٦ ــ الفاضل والمفضول: للمبرد.
٣٧ ــ الفهرست: لابن النديم.
٣٨ ــ قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللَّفظين: لابن القاصح.
٣٩ ــ القرآن الكريم.
٤٠ ــ القراءات: لابن مجاهد.
٤١ ــ القاموس المحيط: للفيروزآبادي.
٤٢ ــ الكتاب: لسيبويه.
٤٣ ــ الكشف عن علل القراءات وحججها: لمكي بن أبي طالب.
٤٤ ــ لسان العرب: لابن منظور.
٤٥ ــ لطائف الإشارات في علم القراءات: لشهاب الدين أبي العباس القسطلاني.
٤٦ ــ مجلة الرسالة: العدد ٢١٦.
٤٧ ــ مجلة المقتطف: يوليو ١٩٣٣.
٤٨ ــ المحتسب: لابن جني.
٤٩ ــ المحكم: للداني.
٥٠ ــ المذاهب الإسلامية: لجولدتسيهر.

٥١ ـ المزهر: للسيوطي.

٥٢ ـ المصاحف: **لابن أبي داود السجستاني**.

٥٣ ـ معاني الحروف: للرماني.

٥٤ ـ معاني القرآن: للزجاج.

٥٥ ـ معاني القرآن: للفراء.

٥٦ ـ مقدمة ابن خلدون.

٥٧ ـ المقنع: لأبي عمرو الداني.

٥٨ ـ منجد المقرئين: لابن الجزري.

٥٩ ـ المواهب الفتحية: لحمزة فتح الله.

٦٠ ـ نزهة الألباء: للأنباري.

٦١ ـ النشر في القراءات العشر: لابن الجزري.

٦٢ ـ نفح الطيب: للمقري.

٦٣ ـ وفيّات الأعيان: لابن خلكان.

فهرس الأعلام

ملحوظة:

هذا الفهرس مرتب هجائياً على حسب العلم الأشهر كنية أو لقباً أو اسماً، ولم يعتبر «أبو» و«آل» في هذا الترتيب.

«أ»

«ش»

«ص»

«ط»

«ع»

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
موقف الزجاج (٣١١ هـ)	٦٣
موقف أبي بكر مجاهد (٣٢٤ هـ)	٦٥
موقف ابن خالويه (٣٧٠ هـ)	٦٦
موقف أبي علي الفارسي (٣٧٧ هـ)	٦٨
موقف علي بن عيسى الرماني (٣٨٤ هـ)	٦٩
موقف ابن جني (٣٩٢ هـ)	٧٠
موقف مكي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ)	٧٢
موقف أبي عمرو الداني (٤٤٤ هـ)	٧٢
٧ ــ تقويم آراء القدماء من النحويين والقرّاء	٧٥
تقويم رأي سيبويه	٧٥
ورأي كل من الفراء والزجاج	٧٦
وابن خالويه	٧٦
وأبي علي الفارسي	٧٧
والداني وابن القاصح	٧٧
لا علاقة بين الإمالة ورسم المصحف	٧٨
٨ ــ الاختيار عند القرّاء	٨٥
٩ ــ الحقائق الكبرى في البحث	٩١
١٠ ــ ملاحق البحث	٩٥
الملحق الأول: قبسات من الإبانة في سبب اختلاف القراءة	٩٧

الموضوع	الصفحة